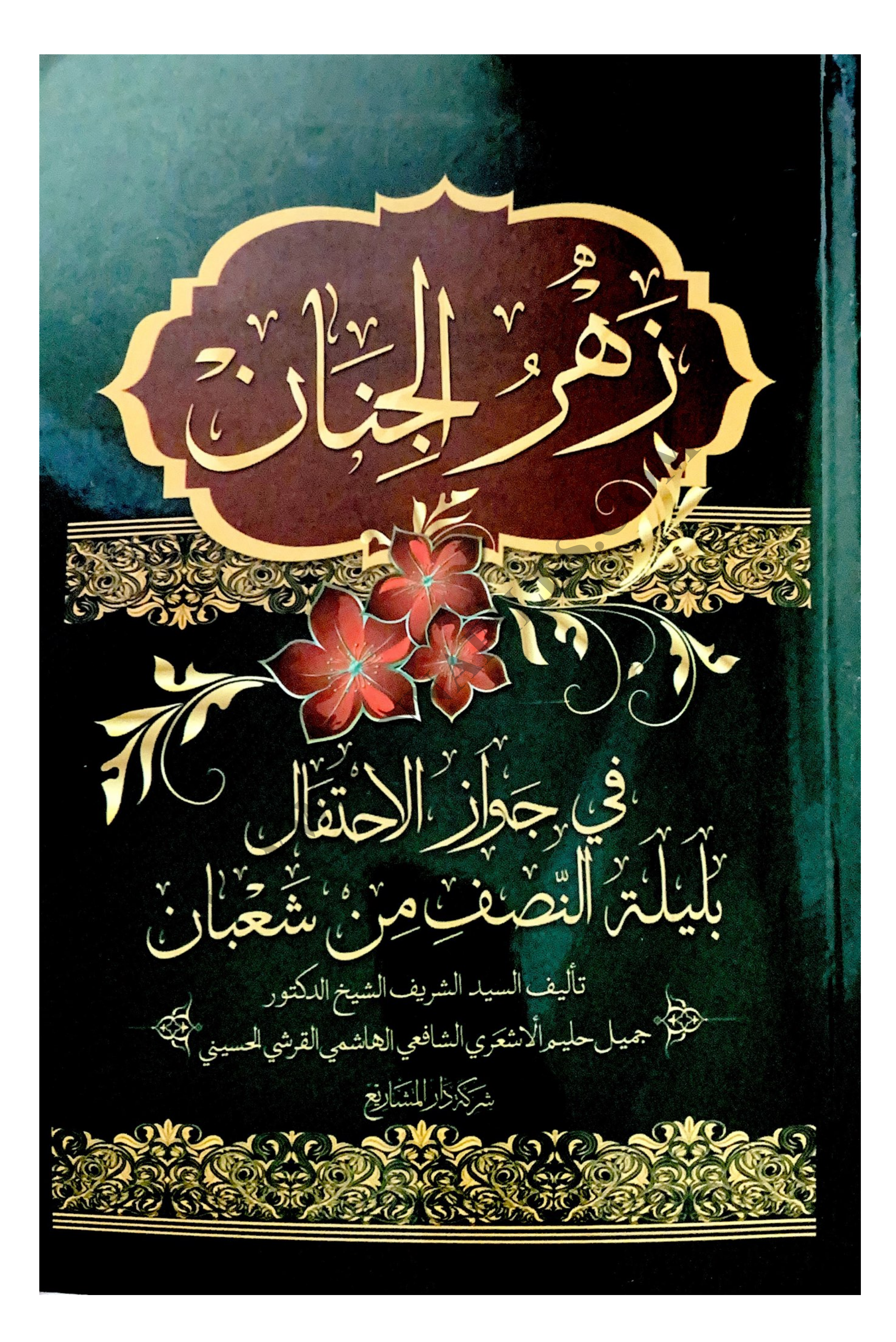


زهر الجنان
في جواز الاحتفال
بليلة النصف من شعبان
تأليف السيد الشريف الشيخ الدكتور
جميل حليم الأشعري الشافعي الهاشمي القرشي الحسيني
شركة دار المشاريع

زَهْرُ الجِنَان فِي جَوازِ الاحْتِفَال بِلَيْلَةِ النّصْفِ مِنْ شَعْبَان

ويليه

الارْتوَاء مِن أَدِلَّةِ جَوازِ الاحْتِفَال بالمِعْرَاج والإسْرَاء

جمعَهُ وأعَدَّهُ

حفيد رسول الله الشيخ الدكتور عماد الدين جميل حليم الحسيني

الأشعري الشافعي الرفاعي القادري

رئيس جمعيَّة المشايخ الصوفيَّة

زَهْرُ الجِنَان
فِي جَوازِ الاحْتِفَال
بِلَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا دائمًا بدوامك، ولك الحمد حمدا باقيًا ببقائك، ولك الحمد حمدًا لا جزاء لقائله إلا رضاك، ونسألك اللهم أن تصلّي أفضل الصلوات، وتسلّم أكمل التسليمات، على من جعلت وجوده نعمة، ورسالته رحمة، وفضّلته على جميع المخلوقات، وشرّفت به عالم الأرض والسمٰوات، سيدنا محمد عبدك النبي الأمي، الطاهر الزكي، وارض اللهم عن آله بحور الندى وليوث العدى الذين طهرتهم من الرجس تطهيرًا وأعطيتهم فضلًا كبيرًا فكانوا سادة الأمة وهداة الأئمة.

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

وأصحابه الذين ناصروه ونصروه، وءازروه وعزروه وحفظوا حرمته وبلغوا شريعته ففازوا بالعزة في الأولى والسعادة في الآخرة.

أما بعد: فإن الله جلت قدرته وتعالت عظمته فاوت بين خلقه في المناصب وجعلهم طبقات متباينة المراتب، فمنهم رسل وأنبياء، وصديقون وشهداء، وعلماء أفاضل، ونجباء أماثل، ومنهم كفار فجرة، وفساق خسرة، وجهلة أغبياء، وملاحدة أشقياء، ليتميز

الشقي من السعيد، والمقرب من البعيد، وليظهر عليهم فضل الله وعدله، وتنفذ فيهم مشيئته وحكمه، ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، لكن أراد أن تتجلى ءاثار ربوبيته، ويتبين للعقلاء عجزهم عن فهم خفي حكمته، وكما فاوت سبحانه بين أنواع الإنسان، فاوت بين أنواع الأماكن والأزمان، فجعل لبعض الأماكن فضلًا على غيرها في العبادة والدعاء، وجعل بعض الأزمنة مواسم للهبة والعطاء، من ذلك ليلة النصف من شعبان التي يتكرم الله فيها على جمع من خلقه بعموم مغفرته، وشمول رحمته، فيغفر للمستغفرين، ويرحم للمسترحمين ويجيب دعاء السائلين، ويفرج عن المكروبين، ويعتق فيها جماعة من النار.

وقد اشتهر فضل هذه الليلة قديمًا عند الناس فكانوا يحيونها بالعبادة والذكر والدعاء وإن اختلفوا في صفة إحيائها هل يكون جماعة أو فرادى؟ وهل يكون في المسجد أو البيت؟ وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه**» وذلك كل ليلة ولا شك أن ليلة النصف تدخل في هذا العموم فيتأكد قيامها والاجتهاد بالعبادة فيها، عسى أن تشمل المتعبد فيها عناية من الله تمحو أوزاره وذنوبه وتفرج كروبه وتستر عيوبه.

ففي معجم الطبراني وغيره عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم».

*** سبب تأليف هذا الكتاب:**

وبعدُ،

فإنّ نفحاتِ الأُنس وفيوضَ الأنوارِ والبركات التي تتجلّى في الليالي والأوقات المباركة، ومنها ليلةُ النصف من شعبان، لهي نفحاتٌ تسمو إلى اغتنام أسرارها واقتباس أنوارها نفوسُ العابدين وأرواح الذاكرين الخاشعين، فهي مواسم خير لا يشبع مؤمنٌ من بَسْط رداء الطاعة في رحابها، نيل عذب الجَنَى من داني قِطافها، وكلُّهم مُتَّبعٌ في ذلك موارد الشرع الشريف، الكتابِ والسُّنَّة.

فكان من سبيل المؤمنين، علمائهم وعوامهم، ترقُّبُ ليلة النصف من شعبان لإحيائها بأنواع الطاعات والعبادات، يشحذون صوارم الهمم، ويطلّقون علائق الدنيا، وأبصارُهُم ترنو إلى قوله تعالى ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾، وبصائرهم مستضيئةٌ بإرشاد سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، في قوله الشريف: «**لا يشبع مؤمنٌ من خير حتى يكون منتهاه الجَنَّة**».

كُلُّ ذلك في جوّ تَعَبُّدِيّ يعبق بنفحات الخير والتقوى، لا يعكّر صفوَهُ منكرٌ ولا معترض، واستمر الحال على ذلك في الأمة

المحمدية شرقًا وغربًا مئاتِ السنين، حتى نبغت طائفة من الرَّعاع الجُهَّال، والأغمار المبتدعة الضُّلَّال، فرفعوا لواء الشذوذ عن سُنَّةِ المسلمين، وارتفعت أصوات إنكارهم على فعلِ الأئمة وتقريراتهم، فركبوا مركب تضليل المسلمين الذين يحتفلون بهذه الليلة المباركة، زاعمين أنّ هذا من بدع الضلالة، كما هو دأبهم في سائر مواسم الخير والطاعات، وكأن إبليس -لعنه الله- قد جَنَّدهم في صفوف جنده ليشوشوا على الأمة، ويهدموا أركانها، ويحلوا عُرَى ثوابت الدين، ويطمسوا معالم نهج الأكابر، من الحفاظ والمحدثين، والمفسرين والأصوليين، واللغويين والنحويين، والمتكلمين والصوفية الصادقين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ونحن، عملًا بقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، فقد جَرَّدنا صارم القلم، ونشرنا لواء العلم والبرهان، لبيان الحجج الساطعة القاطعة على مشروعية الاحتفال بليلة النصف من شعبان، وجواز الاجتماع لإحيائها بالذكر والتلاوة والإنشاد والصلاة والوعظ ونحو ذلك من ألوان الطاعات، التي تقرب إلى الله تعالى، وتزيد في ميزان حسنات المؤمنين؛ ونحن بعدما أكرمنا الله بتلقي العلم من موارده الصافية الهنية، ومرافقة أهل العلم والصلاح ومجالستهم، وما عرفنا من فضائلهم وسيرتهم من الجهر بقول الحق، والرد على ضلالات أهل البدع والضلال والتطرف والشذوذ، كتاج العارفين

وحجة الإسلام والمسلمين مولانا الحافظ المجتهد العلامة اللغوي العارف بالله الشيخ عبد الله بن محمد الهرري العبدري رضي الله عنه، ونفعنا به، الذي كان فارس ميدان نصرة الكتاب والسنة، وصاحب الدلائل والبراهين التي سطع في الآفاق نورها، فأنت بعد هذا كله لن تكون إلا في الصف الأول من الذَّابين عن الدين وسنة سيد المرسلين، نشرا للهدى والحق، فنعلنه ولا نكتمه، ونظهره ولا نحجبه، عسى أن يكون من باب الصدقة الجارية التي يعم نفعها، والله نسألُ أن يوفقنا إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله أولا وآخرًا.

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم وشرّف وكرّم على سيّدنا محمّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرّ المحجّلينَ، وعلى ذُرّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمّهات المؤمنين البارّات التقيّات النقيّات الطاهرات الصفيّات، وصحابته الطيّبين الطّاهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدّين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمّة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تعرض عليه عقائد الناس، فمن كذبها فلا يكون من المسلمين، وهي ميزان الحقّ الذي يكشف زيف الباطل وزيغه، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهم لخصوص الغرض وعموم النّفع.

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنّهُ يجبُ على كلّ مكلفٍ أن يعلمَ أنّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حيّ قيّومٌ لا تأخذُهُ سنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شىء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ، والبحرِ وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا،

ولا حبّةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيء عددًا، فعالٌ لما يريد، قادرٌ على ما يشاء، له الملكُ وله الغنى، وله العزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يفعلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويحكمُ في خلقِهِ بما يشاءُ، لا يرجو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليه حقٌّ [يلزمه] ولا عليه حكمٌ، وكلّ نعمةٍ منْهُ فضلٌ وكل نِقمةٍ منه عدلٌ، لا يسألُ عمّا يفعَلُ وهم يسألونَ. موجودٌ قبلَ الخلقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ، ولا بعضٌ، ولا يقالُ متىَ كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثّلُ في النّفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تلحقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

نقول جازمين معتقدين صادقين مخلصين، بأنّا نشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصّمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذ صاحبة وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأول القديم الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجه من الوجوه، لا شبيه ولا نظير له، ولا وزير ولا مُشير له، ولا مُعين

ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أدواتَ ولا أركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له، فلا حجمَ له ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتّساعَ له، ولا جهةَ ولا حيّزَ له، ولا أينَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان بلا مكان.

تنزَّه ربّي عن الجلوس والقعود والاستقرار والمحاذاة، الرّحمـن على العرش استوى استواءً منزهًا عن المماسة والاعوجاج، خلق العرشَ إظهارًا لقدرته ولم يتّخذه مكانًا لذاته، ومن اعتقد أنّ الله جالسٌ على العرش فهو كافر، الرّحمن على العرش استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر، فهو قاهرٌ للعرش مُتَصرّفٌ فيه كيف يشاء، تنزَّه وتقدَّسَ ربّي عن الحركة والسكون، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسّ والمسافة، وعن التَّحوُّلِ والزّوال والانتقال، جلَّ ربّي لا تُحيط به الأوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبّ، لا إلـٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلّ صفاتِ المخلوقينَ وسِماتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسّ[1] ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحّدُه ولا نُبَعّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسّم كافر وإن صام وصلّى

---

(١) أي أنَّ الله منزهٌ عن الشَّمّ والذَّوق والإحساس وسائر صفاتِ المخلوقين وليس معناه أنه لا يُتوصلَ إلى معرفتهِ بالعقل السليم.

صورةً، فالله ليس شبحًا وليس شخصًا، وليس جوهرًا وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا لا روح له، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيب والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أنّ الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعّض ولا يتعدّد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام، هو صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصّفةِ يستلزمُ حدوثَ الذّاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه

من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾، ومن زعم أنّ إلـٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات السّت كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسّكنات والنّوايا والخواطر وحياة وموت وصحّة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجنّ والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبّات الرّمال والحصى في السّهول والجبال والقفار فهو بخلق الله بتقديره وعلمه الأزلي والإنس والجنّ والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أنّ سَيّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرّة أعيننا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا، عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمّة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشَدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقّ والجنَّة، صلّى الله عليه وعلى كلّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر العشرة المبشّرين بالجنّة الأتقياء البررة وعن أمّهات المؤمنين زوجات النّبي الطاهرات النّقيات المبرّءات، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحقّ الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمّة الإسلامية، والحمد لله ربّ العالمين.

بدء الاحتفال بليلة النصف من شعبان

كان بدء الاحتفال بهذه الليلة أن التابعين من أهل الشام كخالد ابن معدان ومكحول ولقمان ابن عامر وغيرهم كانوا يعظمونها ويجتهدون في العبادة فيها ويقال: بلغهم في ذلك ءاثار، وعنهم أخذ الناس تعظيمها واشتهر أمرها في البلاد الإسلامية وحصل الخلاف بين العلماء فيها، فأما طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم فوافقوا أهل الشام على تعظيم هذه الليلة، وأما أكثر علماء الحجاز فأنكروا ذلك وقالوا بل هو بدعة،(قالوا إنّها بدعة على معنى أن من جعلها سنّة أصليّة ثابتةً عن الرسول أو على معنى إيجابها هذا هو معنى قولهم إنها بدعة.) منهم عطاء وابن أبي مليكة، وفقهاء أهل المدينة فيما نقله عنهم عبد الرحمـٰن بن زيد بن أسلم، وهذا قول أصحاب مالك وغيرهم، وروى ابن وضاح عن زيد بن أسلم قال ما أدركنا أحدًا من مشيختنا ولا فقهائنا -يعني بالمدينة- يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان ولا يلتفتون إلى حديث مكحول ولا يرون لها فضلًا على سواها. وقيل لابن أبي مليكة إن زيادًا النميري يقول إن أجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القدر فقال: لو سمعته وبيدي عصا لضربته، وكان زياد قاصًا.

قال الشيخ عبد الله الغماري: وهذه نظرة إجمالية في قضية (ليلة النصف من شعبان) تقدمةً وتمهيدًا بين يدي رسالة شيخنا الجامعة

الممتعة، فأقول:

أفرد كثير من العلماء (في العصور المختلفة) رسائل وأجزاء حديثية في بيان فضل ليلة النصف من شعبان، والرد على منكري إحيائها، فمن هذه التآليف:

١- فضل النصف من شعبان لفقيه الحرم المكي محمد بن إسماعيل ابن أبي الصيف اليمني الشافعي (ت ٦٠٩هـ)، ويقال لكتابه: (فضائل شعبان).

٢- ما جاء في شهر شعبان للحافظ أبي الخطاب ابن دحية الأندلسي (٦٣٣هـ).

٣- ليلة النصف من شعبان وفضلها للحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد الدُّبَيْثي (ت ٦٣٧هـ).

٤- تحلية الشبعان فيما روي في ليلة النصف من شعبان للحافظ شمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي (ت ٩٥٣هـ).

٥- الإيضاح والبيان لما جاء في ليلة النصف من شعبان لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٥هـ).

٦- مواهب الكريم المنّان في الكلام على أوائل سورة الدخان وفضائل ليلة النصف من شعبان للشيخ الفقيه نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي الشافعي (ت ٩٨١هـ).

٧- الكشف والبيان عن فضائل ليلة النصف من شعبان للشيخ سالم السنهوري المالكي (من علماء القرن العاشر الهجري).

٨- رسالة في فضل ليلة النصف من شهر شعبان للشيخ العلامة محمد حسنين مخلوف العدوي الأزهري المالكي (ت ١٣٥٥هـ).

٩- حسن البيان في ليلة النصف من شعبان للعلامة المحدِّث الشيخ عبد الله بن الصِّديق الغماري (ت ١٤١٣هـ).

١٠- منحة الرحيم الرحمٰن في بعض ما ورد في ليلة النصف من شعبان للشيخ محمود إبراهيم آل محمود البحريني.

وليس المقصود هنا استيعاب جميع ما أُلِّفَ في هذا الباب، فإنَّ مَنْ أَلَّفَ في هذا الباب -غير مَنْ ذكرت- كثيرون، منهم: الأجهوري المالكي، والشيخ أبو الحسن الصديقي، والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ محمد الحافظ، والشيخ عمران الشاذلي السيوطي.

ونستطيع أن نجمل اعتراض المخالفين، ونرد عليهم فيما يلي:

١- أنكروا فضل ليلة النصف من شعبان، وقالوا: لم يصح في فضلها حديث، وليس لهم حجة في ذلك ولا مستند إلا قولة القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي رحمه الله: (ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه). قال الشيخ عبد الله بن الصِّديق الغماري: (في هذا غلو وإفراط).

٢- وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي[١] بعد أن ساق أحاديث ليلة النصف من شعبان: (فهذه الأحاديث بمجموعها حجَّة على من زعم أنَّه لم يثبت في فضيلة ليلة النصف من شعبان شيء).

٣- وأورد الألوسي في تفسيره روح المعاني[٢] كلام القاضي أبي بكر ابن العربي ثم قال: (ولا يخلو من مجازفة).

فائدة عظيمة النفع:

يجب الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الحجم والصورة والكيفية والكمية وعن الحركة والسكون وعن القعود والجلوس وعن القرب والبعد بالحسّ والمسافة والمكان وعن النزول بالحركة والانتقال، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فاحذر أخي المسلم أن تأخذ الآيات والأحاديث المتشابهة على ظاهرها، فإنّ ذلك من أصول الكفر والضلال. قال سيدنا الرفاعي الكبير رضي الله عنه: «صونوا عقائدكم عن التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنّة فإن ذلك من أصول الكفر». ومن الأحاديث المتشابهة حديث النزول الذي سيمر ذكره مرات عديدة في هذا الكتاب، فكن مستحضرًا أنه مؤول وليس على ظاهره. قال الإمام مالك في تأويله: «نزول

(١) انظر الكتاب (٣٦٧/ ٣).

(٢) انظر الكتاب (١١١/ ٥).

رحمة لا نزولُ نقلة».

٤- وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان وفي إحيائها بالعبادة أحاديث صحاح وحسان وضعاف يشدُّ بعضها بعضًا، وتدفع قول كل جاحد ومعاند.

وفي كتاب «السُّنَّة»[1] المنسوب لعبد الله ابن الإمام أحمد -بإسناد صحيح- عن عبَّاد بن العوام قال: (قدم علينا شريك فسألناه عن الحديث: إنَّ الله ينزل ليلة النصف من شعبان، قلنا: إنَّ قومًا ينكرون هذه الأحاديث، قال: فما يقولون؟ قلنا: يطعنون فيها، قال: إنَّ الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرءان، وبأنَّ الصلوات خمس، وبحج البيت، وبصوم رمضان، فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث).

أنكروا إحياء هذه الليلة بالعبادة والاجتماع لها، والدليل العام وحده ينقض ما ذهبوا إليه ويهدمه، فإحياء الليل عمومًا (أيَّ ليلة من السَّنة) سُنَّة نبوية ثابتة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾[2]، فهي في حقِّه ﷺ فرض، وفي حق أمته سُنَّة، كما ذكر العلماء، والأحاديث في ذلك كثيرة ثابتة.

---

(١) انظر الكتاب (١/٢٧٣) وهذا الكتاب فيه تحريفٌ وفسادٌ كبيرٌ وافتراء على الإمام أحمد بن حنبل وابنه وهو ليس ثابت عنهما، فيجب التحذير منه.

(٢) سورة المزمّل.

وأنكروا صيام نهار نصف شعبان، مع أنّ صيامه سُنَّة بالدليل العام، فقد ثبت عن النبي ﷺ صيام شعبان كله، وصيام أكثر شعبان، ولا شك أنَّ يوم النصف داخل في هذا، كما ثبت عنه ﷺ من حديث أبي ذر رضي الله عنه وغيره، أمره بصيام الثلاثة أيام البيض من كل شهر، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ونصف شعبان داخل فيها أيضًا.

فإنْ قال المعترض: فما الحاجة إلى تخصيص ليلة النصف إذا كانت تدخل فيما سبق؟!.

قلتُ: بل لليلة النصف من شعبان مزيد فضل واهتمام واختصاص، وهذه الأدلة التفصيلية توضحه وتبينه وتؤكده، وذكرنا للدليل العام إنما هو حجةٌ وإلزام للمخالف.

وقد قيل: إنَّ ءاية الأمر بالصلاة على النبي ﷺ نزلت في شهر شعبان، نقله العلامة الشهاب القسطلاني في كتابه «مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على النبي المصطفى ﷺ».

من فضل ليلة النصف:

١- روى الدارقطني وابن شاهين وابن ماجه عن عليٍّ كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كانت ليلةُ النِّصف من شعبان، فقوموا ليْلَهَا وصوموا نهَارَها، فإنَّ اللهَ تعالى ينزلُ فيهَا لغُرُوب الشَّمس إلى سَماء الدُّنيا، فيقولُ: ألاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فأَغْفِرَ**

رحمة لا نزولُ نقلة».

٤- وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان وفي إحيائها بالعبادة أحاديث صحاح وحسان وضعاف يشدُّ بعضها بعضًا، وتدفع قول كل جاحد ومعاند.

وفي كتاب «السُّنَّة»[1] المنسوب لعبد الله ابن الإمام أحمد -بإسناد صحيح- عن عبَّاد بن العوام قال: (قدم علينا شريك فسألناه عن الحديث: إنَّ الله ينزل ليلة النصف من شعبان، قلنا: إنَّ قومًا ينكرون هذه الأحاديث، قال: فما يقولون؟ قلنا: يطعنون فيها، قال: إنَّ الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرءان، وبأنَّ الصلوات خمس، وبحج البيت، وبصوم رمضان، فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث).

أنكروا إحياء هذه الليلة بالعبادة والاجتماع لها، والدليل العام وحده ينقض ما ذهبوا إليه ويهدمه، فإحياء الليل عمومًا (أيَّ ليلة من السَّنة) سُنَّة نبوية ثابتة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ④﴾[2]، فهي في حقِّه ﷺ فرض، وفي حق أمته سُنَّة، كما ذكر العلماء، والأحاديث في ذلك كثيرة ثابتة.

---

(١) انظر الكتاب (١/ ٢٧٣) وهذا الكتاب فيه تحريفٌ وفسادٌ كبيرٌ وافتراء على الإمام أحمد بن حنبل وابنه وهو ليس ثابت عنهما، فيجب التحذير منه.

(٢) سورة المزمّل.

وأنكروا صيام نهار نصف شعبان، مع أنّ صيامه سُنَّة بالدليل العام، فقد ثبت عن النبي ﷺ صيام شعبان كله، وصيام أكثر شعبان، ولا شك أنَّ يوم النصف داخل في هذا، كما ثبت عنه ﷺ من حديث أبي ذر رضي الله عنه وغيره، أمره بصيام الثلاثة أيام البيض من كل شهر، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ونصف شعبان داخل فيها أيضًا.

فإنْ قال المعترض: فما الحاجة إلى تخصيص ليلة النصف إذا كانت تدخل فيما سبق؟!.

قلتُ: بل لليلة النصف من شعبان مزيد فضل واهتمام واختصاص، وهذه الأدلة التفصيلية توضحه وتبينه وتؤكده، وذكرنا للدليل العام إنما هو حجةٌ وإلزام للمخالف.

وقد قيل: إنَّ ءاية الأمر بالصلاة على النبي ﷺ نزلت في شهر شعبان، نقله العلامة الشهاب القسطلاني في كتابه «مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على النبي المصطفى ﷺ».

من فضل ليلة النصف:

١- روى الدارقطني وابن شاهين وابن ماجه عن عليٍّ كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كانت ليلةُ النِّصف من شعبان، فقوموا ليْلَهَا وصوموا نهارَها، فإنَّ اللهَ تعالى ينزلُ فيهَا لغُرُوب الشَّمس إلى سَماء الدُّنيا، فيقولُ: ألاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فأَغْفِرَ**

له! ألا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ!، ألاَ مُبْتَلًى فأُعَافِيَهُ! ألا كذا! ألا كذا! حتَّى يَطْلُعَ الفجر».

٢- وروى الطبراني، عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَطَّلِعُ اللهُ عَلَى عبادِهِ ليلة النِّصف من شعبان، فيَغْفِرُ لجميع خلقه، إلا لمشركٍ أو مُشَاحِنٍ» (والمُشاحن هو الذي يظلم الناس لأكل أموالهم وبضربهم وبغير ذلك من أنواع الظلم).

وفي رواية «وقاتل نَفْس».

قلنا: ولو لم يكن في فضلها غير هذا الحديث الصحيح الثابت لكفى في العناية بشأنها وأنها ليست ككل الليالي، كما يقوله بعض خلق الله، وهل كل الليالي وردت فيها أحاديث؟!.

٣- وروى الترمذي في «النوادر»، والطبراني، وابن شاهين (بسند حسن) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «هذه لَيْلَةُ النِّصف من شعبان: إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يطَّلِعُ على عباده في لَيْلَةِ النِّصْفِ من شعبان فيَغْفِرُ للمُسْتَغْفِرينَ، ويَرْحَمُ لِلْمُسْتَرْحِمِينَ، ويؤَخِّرُ أهْلَ الحقْدِ كما هُمْ».

توجيه معاني بعض أحاديث ليلة النصف:

١- أخرج البيهقي في كتاب «الدعوات الكبير» عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قام يصلي ليلة النصف من شعبان،

وقال: «فِي هذه الليلة يُكْتَبُ كُلُّ مولودٍ وهالكٍ من بني آدم، وفيها تُرْفَعُ أعمالهم، وتنزل أرزاقهم».

ونحن نفهم: أنَّ الكتابة هنا معناها نزول الأمر من اللوح المحفوظ إلى الملائكة الموكلين بتنفيذه، ولما كان الأمر مستورًا ثُمَّ كشف، كان كأنّه بالنسبة لنا قد كتب في هذه الليلة، وعلى هذا المعنى وما هو منه، نحمل ألفاظ (الكتابة والنسخ) التي تدور في أحاديث فضل هذه الليلة، فتكون ليلة النصف كالتمهيد والتقديم أو الإعداد لليلة القدر، وعليه يحمل رأي عكرمة وغيره توفيقًا بين ليلة النصف وليلة القدر.

٢- ومن دليل ذلك ما روى ابن أبي الدنيا عن عطاء قال: «إذا كان لَيْلَةُ النِّصْفِ من شعبان دُفِعَ إلى مَلَكِ الموت صحيفة، فيقال: اقْبِض مَنْ في هذه الصحيفة، فإنَّ العبد ليَغْرِسُ الغِرَاسَ، ويَنْكِحُ الأزواجَ، ويبني البُنْيَان، وإنَّ اسْمَهُ قد نُسِخَ في ديوان الموتى».

ومفهومُ النَّص: أن هذه الصحيفة قد نسخت من اللوح المحفوظ لينفذها الموكلون بها، وعليه يفهم أيضًا ما أخرجه الدينوري في «المجالسة» عن راشد بن سعد، وقد أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن عائشة نحوه.

٣- وقد أخرج الخطيب في «التاريخ» من طريق عامر بن سياف اليمامي، عن عائشة رضي الله عنها، من حديث طويل، قال ﷺ فيه:

«يَا عائشة! إنَّه ليس نَفْسٌ تموتُ في سنة إلا كُتِبَ أجلُهَا في شعبان، وأُحِبُّ أن يُكْتَبَ أجلي وأنا في عبادة ربِّي وعمل صالح».

وقد رواه أبو يعلى بنحو ذلك.

٤- وأخرج ابن أبي شيبة عن عطاء بن يسار، قال: «لم يكن رسول الله ﷺ في شهر أكثر منه صيامًا في شعبان، وذلك أنّه ينسخ فيه ءاجال من ينسخ في السنة».

٥- وأخرج الخطيب في «رواة مالك» عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**يفتح الله الخير في أربع ليال: ليلة الأضحى، والفطر، وليلة نصف شعبان ينسخ فيها الآجال والأرزاق، ويكتب الحاج، وفي ليلة عرفة إلى الأذان**».

٦- وأخرج الديلمي وابن زنجويه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتّى أنَّ الرجل لينكِحُ ويُولَدُ له، وقد خَرَجَ اسمُهُ في الموتَى**». وروى نحوه ابن جرير والبيهقي في الشعب.

ومثل هذا كله لا يقال بالرأي كما هو معلوم عند العلماء، وهذه الأحاديث وإن كان في بعضها ضعف أو لين، فهي مجبورة ومعتضدة بتعدد طرقها وشواهدها، وهكذا تأخذ رتبة (الحسن) على الأقل فيؤخذ بها فيما هو أخطر من موضوعنا هذا، وقد وجهناها هنا على

ما نرجح، ولا نخالف توجيه غيرنا فلا موجب للجدل، والأمر فرعي اجتهادي، لا يجوز أن يتفرق عليه المسلمون.

رابعًا: حول الحديث الضعيف:

وعلى فرض جدلي أنَّ ضعف أحاديث فضل هذه الليلة والعمل بها غير مجبور، فقد جاءت في «باب الفضائل»، والأمة كلها على أنَّ الحديث الضعيف يؤخذ به في الفضائل ونحوها بلا تثريب، فكيف إذا جبر الضعيف بالمتابعات والشواهد وتعدد طرق الرواية.

والعمل بالضعيف هنا نقله النووي، وذهب إليه ابن الصلاح، وهو ما جاء عن السلف كالثوري، وابن عيينة، وابن حنبل، وابن المبارك، وابن مهدي، وابن معين، وبوّب له ابن عدي في «الكامل»، والخطيب في «الكفاية»... إلخ.

فضل الدعاء في هذه الليلة:

١ - روى البيهقي، في حديث طويل، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل -عليه السلام- فقال: هذه الليلة ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النّار بعدد شعور غنم بني كلب، لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مُسْبل، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر...**» (أي لا يكرمهم).

قالت: فسجد ليلًا طويلًا، وسمعته يقول في سجوده: «أعوذ

بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جلَّ وجهك[1]، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».
(وهذا في مقام التضرّع إلى الله وتعليم الأمة وليس معناه أنه ﷺ يُخشى عليه من سَخط الله أو من عذابه فهو أتقى خَلق الله على الإطلاق).

قالت: فلمّا أصبح ذكرتهن له، فقال: «**يا عائشة تَعَلَّمْتِهِنَّ؟**» فقلتُ: نعم، فقال: «**تَعَلَّمِيهِنَّ وَعَلِّمِيهِنَّ، فإنَّ جبريل عليه السلام: عَلَّمَنِيهُنَّ، وأمرني أن أُرَدِّدُهُنَّ في السّجود**».

وفي هذا الحديث اعترافٌ بفضل هذه الليلة، وتوجيهٌ إلى التعبد فيها، وإلى اختيار جيد الدعاء معها، فليست إذن ككل الليالي (كما يقولون!!)، وهل كل الليالي فيها مثل هذا القول والمناظرة والترغيب المتلاحق الذي يوشك أن يكون أمرًا ملزمًا؟!.

٢- ثُمَّ إنَّ هذا الحديث -كغيره- معتضد بحديث آخر للبيهقي أيضًا عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندي، فلمّا كان في جوف الليل فقدته، فطلبته في حجر نسائه، فانصرفتُ إلى حجرتي، فإذا أنا به كالثوب الساقط، وهو يقول في سجوده: «**سجد لك خيالي وسوادي، وءامن بك فؤادي، فهذه يدي وما**

---

(١) أي ذاتك والله منزه عن الوجه الجارحة والجسم والأعضاء ليس كمثله شيء.

جنيتُ بها على نفسي، يا عظيم يُرْجَا لكل عظيم، يا عظيم اغفر لي الذنب العظيم، سجد وجهي للذي خلقه، وشقَّ سمعه وبصره».

وفي رواية «فتبارك الله أحسن الخالقين».

ثُمَّ رفع رأسه، ثُمَّ عاد ساجدًا فقال: أعوذُ برضاكَ من سخطك، وأعوذُ بعفوك من عقابك، وأعوذُ بك منك: أنت كما أثنيت على نفسك.

ثُمَّ رفع رأسه فقال: «اللَّهُمَّ ارزقني قلبًا تقيًا، من الشرك نقيًا، لا جافيًا ولا شقيًا» ثُمَّ انصرف. (وهذا في معرض التّذلل لربه والعبادة والخشوع وليس معناه أن قلبه ﷺ فيه شيء من الشرك أو أنه ليس نقيًا فهذا مستحيل على الرسول.)

قلنا: فلم يعد للمعترض وجه للاعتراض على إحياء هذه الليلة بالتعبد والدعاء.

٤- وهذه الأحاديث التي أوردناها على اختلاف المفاهيم والمضامين والمراتب العلمية، يشدُّ بعضُها بعضًا، فلم يبق شك في صحة محصلها، وهو فضل ليلة النصف، وفضل الاهتمام بإحيائها، وبهذا أخذ أكثر السلف ممن لا يتهمهم النّاس في علم ولا عمل، وهذا ملحظ علمي له وزنه الكبير فتأمله.

صفة إحياء هذه الليلة

اختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها فمنهم من قال يستحب إحياؤها في المساجد جماعة، وهذا رأي خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما فإنهم كانوا يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك فقال في قيامها في المسجد جماعة: ليس ذلك ببدعة، نقله عنه حرب الكرماني في «مسائله» ومنهم من قال: يكره[1] الاجتماع فيها للصلاة والقصص والدعاء ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصّة نفسه، وهذا قول الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام. وذهب إلى ترجيح الأول المحدث عبد الله الغماري رحمه الله فإنه كان يأمر الإخوان بإحياء هذه الليلة في الزاوية الصديقية بالذكر والقرءان والدعاء، ثم يتفرقون عن ذواق وقد نقل البيهقي في «السنن الكبرى» عن الإمام الشافعي أنه قال: بلغنا أنه كان يقال: إن الدعاء يستجاب في خمس ليال: في ليلة الجمعة وليلة الأضحى وليلة الفطر وأول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان، وورد عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامله بالبصرة: عليك بأربع ليال من السنة فإن الله يفرغ فيهن الرحمة إفراغًا: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة الأضحى.

---

(١) كره ذلك على معنى أنه خاف أن يُتوهّم أنها من أصل الدّين أو من الواجبات.

فضل هذه الليلة

قال المحدث الغماري: «ورد في فضل هذه الليلة وقيامها واستجابة الدعاء فيها أحاديث لا تخلو من مقال حتى قال أبو بكر بن العربي المعافري ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه. وإن كان في هذا غلوّ وإفراط، ونحن نلخص هنا ما ورد من الأحاديث والآثار مع الإشارة إلى ما فيها من ضعف وإعلال سالكي طريق الإنصاف كما هو شأننا -إن شاء الله- في كل ما نكتب وبالله التوفيق».

الحديث الأول

أخرج ابن ماجه في «سننه» عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ قال: **«إذا كان ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله تعالى ينزل[1] فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتلي فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر»**. وهكذا رواه عبد الرزاق وغيره وفي سنده أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، متروك، وقال أحمد كان يضع الحديث ويكذب.

---

(١) نزول رحمة لا نزول نقلة.

الحديث الثاني

أخرج الترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «فقدت النبي ﷺ فخرجت فإذا هو بالبقيع رافعًا رأسه إلى السماء فقال: «**أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله فقلتُ ظننتُ أنك أتيت بعض نسائك فقال إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب**» قال الترمذي حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسمعت محمدًا - يعني البخاري يضعف هذا الحديث لأن فيه انقطاعًا في موضوعين. (أن يحيف الله عليك ورسوله أي لا يحصل لك ظلمٌ لأن الله منزّهٌ عن الظلم والرسول معصومٌ ومحفوظٌ منه.)

الحديث الثالث

أخرج ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليتطلع[1] ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه[2] إلا لمشرك[3] أو مشاحن**» وهو من رواية ابن لهيعة وفيه كلام عن الضحاك بن أيمن الكلبي، قال الذهبي لا يدري من هو؟

---

(١) أي يغفر لهم مغفرة خاصة.

(٢) أي يغفر لبعض المسلمين كلّ ذنوبهم ولبعضٍ بعض ذنوبهم.

(٣) والمشرك وأي كافرٍ ءاخر لا يُغفر لهم إلا بالإسلام.

الحديث الرابع

أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «إن الله ليتطلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين مشاحن أو قاتل نفس» وإسناده لين كما قال الحافظ المنذري.

الحديث الخامس

أخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن».

الحديث السادس

أخرج الطبراني والبيهقي من طريق مكحول عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يطلع الله إلى عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويمهل الكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه» قال البيهقي: وهو بين مكحول وأبي ثعلبة مرسل جيد اهـ.

قلت: فيكون فيه انقطاع، لأن مكحولًا لم يسمع من أبي ثعلبة.

الحديث السابع

أخرج البزار والبيهقي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل شيء إلا لرجل مشرك أو رجل في قلبه شحناء**». وإسناده لا بأس به كما قال الحافظ المنذري.

الحديث الثامن

أخرج البيهقي بإسناد ضعيف عن عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ: «**إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى منادٍ[1] هل من مستغفرٍ فأغفر له هل من سائلٍ فأعطيه فلا يسأل أحد شيئًا إلا أعطيه إلا زانية بفرجها أو مشركًا**» هكذا جاء في رواية البيهقي وجاء في رواية غيره مطلقًا غير مقيد بليلة النصف، ففي المسند عن الحسن البصري قال: مرّ عثمان بن أبي العاص على كلاب بن أمية وهو جالس على مجلس العاشر بالبصرة فقال ما يجلسك هنا؟ قال استعملني على هذا المكان -يعني زيادًا- فقال له عثمان ألا أحدثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ فقال بلى، فقال عثمان سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان لداود نبي الله عليه السلام ساعة يوقظ فيها أهله يقول يا ءال داود قوموا فصلوا فإن هذه الساعة يستجيب**

---

(١) ملكٌ ينادي بأمر الله مبلغًا عن الله.

الله فيها الدعاء إلا لساحر أو عاشر» فركب كلاب بن أمية سفينة فأتى زيادًا فاستعفاه فأعفاه ورواه الطبراني في الكبير والأوسط، ولفظه عن النبي ﷺ قال: «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ هل من داعٍ فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مكروب فيفرج عنه فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارًا» ولا تنافي بين هذه الروايات كما لا يخفى على أن ليلة النصف تشملها رواية أحمد والطبراني بطريق العموم.

الحديث التاسع

أخرج البيهقي عن العلاء بن الحارث أن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله ﷺ من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض فلما رأيت ذلك، قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عائشة أو يا حميراء أظننت أن النبي ﷺ قد خاس بك، قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت أنك قبضت لطول سجودك، فقال: «أتدرين أي ليلة هذه» قلت الله ورسوله أعلم، قال: «هذه ليلة النصف من شعبان إن الله عزّ وجلّ يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحق كما هم» قال البيهقي هذا موصل جيد ويحتمل أن يكون العلاء أخذه من مكحول اهـ.

الحديث العاشر

أخرج البيهقي عن مكحول عن كثير بن مرة عن النبي ﷺ: «**في ليلة النصف من شعبان يغفر الله لأهل الأرض إلا مشركًا أو مشاحنًا**»، قال البيهقي هذا مرسل جيد اهـ.

قلت لأن كثير بن مرة تابعي.

الآثار الواردة في هذه الليلة

وأما الآثار فمنها ما ورد عن نوف البكالي أن عليًا عليه السلام خرج ليلة النصف من شعبان فأكثر الخروج فيها ينظر إلى السماء فقال: «**إن هذه الساعة ما دعا الله أحدٌ إلا أجاب ولا استغفره أحد في هذه الليلة إلا غفر له ما لم يكن عشارًا أو ساحرًا أو شاعرًا أو كاهنًا أو عريفًا أو شرطيًا أو جابيًا أو صاحب كوبةٍ أو غرطبة**» قال نوف الغرطبة الطنبور والكوبة الطبل، اللهم رب داود اغفر لمن دعاك في هذه الليلة ولمن استغفرك فيها.

ومنها ما رواه سعيد بن منصور في سننه قال حدثنا أبو معشر عن أبي حازم ومحمد بن قيس عن عطاء بن يسار قال: ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده كلهم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم. فيستفاد من هذه الأحاديث والآثار استحباب قيام

هذه الليلة والاجتهاد فيها بتلاوة القرءان والذكر والدعاء تعرضًا لنفحات رحمة الله كما جاء في حديث رواه الطبراني وغيره عن محمد ابن مسلمة مرفوعًا: «**إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدًا**» وما أحسن قول بعض الفضلاء:

فقم ليلة النصف الشريف مصليًا ... فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه

فكم من فتى قد بات في النصف آمنًا ... وقد نسخت فيه صحيفة حتفه

فبادر بفعل الخير قبل انقضائه ... وحاذر هجوم الموت فيه بصرفه

وصم يومه لله أحسن رجاءه ... لتظفر عند الكرب منه بلطفه

أصل الدعاء المشهور بين العوام

اعلم أن الدعاء الذي يقرأه الناس بعد صلاة المغرب من هذه الليلة لا أصل له بتلك الكيفية المعروفة وقراءة سورة يس ثلاث مرات كل مرة بنية والصلاة التي يصلونها بين الدعاء والدعاء بنية خاصة لقضاء حاجة معينة كل ذلك لا أصل له.

وحديث «**يس لما قرئت له**» مكذوب وإن اغتر به كثير من الناس، فينبغي اجتناب هذه الأمور وتنبيه العامة إلى اجتنابها وتعليمهم ما ينبغي فعله في هذه الليلة مما ورد في الأحاديث السابقة فهي وإن كانت ضعيفة خير مما ابتدعه الناس والضعيف يعمل به في

فضائل الأعمال بشروط معروفة في محلها. نعم وردت جمل من ذلك الدعاء عن ابن مسعود فقد أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» وابن أبي الدنيا في «الدعاء» عنه قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله له في معيشته: يا ذا المن ولا يُمَنّ عليه يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الطَوْل[1] لا إله إلا أنت ظهر اللاجئين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين (وهذا لا يصح إطلاقه على الله ولم يثبت فليُتجنّب وليُحذر). ثم هو مبني على جواز المحو والإثبات في الأرزاق لا الشقاء والسعادة، أما ما زيد في الدعاء بعد ذلك من قولهم: إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شعبان المكرم الخ فهو من زيادة الشيخ ماء العينين الشنقيطي ذكره في كتاب «نعت البدايات» وكتب هذا الشيخ ملأى بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، لأنه لم يكن من أهل الحديث.

باب في فضل شعبان

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ رحمه الله قال أخبرنا أبو بكر بن إسحاق قال أخبرنا بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان عن ابن أبي لبيد عن أبي سلمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صيام رسول الله ﷺ فقالت كان يصوم حتى نقول قد صام ويفطر حتى نقول قد أفطر ولم أره صام من شهر قط أكثر

---

(١) أي الإنعام.

من صيامه شعبان كان يصوم شعبان كله إلا قليلا. ورواه الشافعي رحمه الله ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن سفيان وقال في الحديث وكان يصوم شعبان كله كان يصوم إلا قليلًا.

أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ويحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى وأحمد بن الحسن قالوا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا بحر بن نصر قال حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرني معاوية ابن صالح عن عبد الله بن أبي قيس أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان.

حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني قال أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا صدقة بن موسى قال حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله أي الصوم أفضل قال صوم شعبان تعظيمًا لرمضان قال فأي الصدقة أفضل قال صدقة في رمضان

أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق المؤذن قال أخبرنا أبو بكر محمد ابن أحمد بن خنب البخاري قال حدثنا علي بن أبي طالب قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنا ثابت الغفاري قال حدثني المقبري عن أبي هريرة عن أسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله إني أراك تصوم في شهر ما لا أراك تصوم في شهر ما تصوم فيه قال أي شهر قلت

شعبان قال شعبان بين رجب وشهر رمضان يغفل الناس عنه ترفع له أعمال العباد فأحب ألا يرفع عملي إلا وأنا صائم قلت أراك تصوم يوم الاثنين والخميس ولا تدعهما قال إن أعمال العباد ترفع فيهما فأحب ألا يرفع عملي إلا وأنا صائم. ورواه ابن أبي أويس عن أبي الغصن ثابت بن قيس الغفاري عن أبي سعيد المقبري عن أسامة ابن زيد عن النبي ﷺ.

فضل ليلة النصف من شعبان

أخرج الترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب**».

وأخرج ابن ماجه وهو حديث ضعيف يجوز العمل به في فضائل الأعمال، عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلًى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر**».

ومعنى نزول الرب سبحانه إلى السماء الدنيا في ليلة النصف من شعبان وغيرها: هو اعتناؤه بأحوال خلقه، واطلاعه عليهم، فيجعل لهم المغفرة وقبول الأعمال، وإن كان مطلعًا عليهم في بقية السنة كما قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾. وقال بعض

المفسرين نزول الملك بأمر الله تبارك وتعالى.

فهو سبحانه وإن كان مطلعًا عليهم في جميع السنة لكن لهذه الليلة زيادة اعتناء من الله تبارك وتعالى بها، وكمال شرف لها، فيتجلى فيها لعباده المؤمنين ويفصل بينهم كما يكون ذلك في مواطن الآخرة بخلاف بقية الليالي فإن أمره تعالى يقتضي المهلة في مجازاة الأعمال وفصل قضائها إلى هذه الليلة.

وقوله ﷺ: «**غنم بني كلب**» قبيلة باليمن، خصهم لأنهم ليس في العرب أكثر منهم غنمًا، وقوله «**إلا لمشرك**» المراد به مطلق كافر، والمشاحن: المعادي عدواة نشأت عن النفس الأمارة بالسوء.

وعن الأوزاعي أنه قال: «المشاحن: كل صاحب بدعة فارق عليها الأمة.

وقال أبو ثوبان: المشاحن: التارك لسنة نبيه ﷺ، الطاعن على أمته كالخوارج (وكالمشبهة والمجسمة والمعتزلةِ وأهل الأهواءِ أي العقائد الفاسدة).

وقيل: المشاحن الذي في قلبه حقد على المسلمين، وهي العداوة الباطنة لهم، والتي ينشأ عنها طلب السوء لهم.

وذكر العلامة ابن رجب في كتابه «اللطائف»:

روى عن كعب الأحبار أن الله تعالى يبعث في ليلة النصف من شعبان جبريل عليه السلام إلى الجنة فيأمرها الله أن تتزين ويقول لها: إن الله تعالى قد أعتق في ليلتك هذه عدد نجوم السماء، وعدد أيام

الدنيا ولياليها، وعدد أوراق الشجر، وزنة الجبال، وعدد الرمال.

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عاملة بالبصرة: عليك بأربع ليال من السنة، فإن الله تعالى يفرغ فيهن الرحمة إفراغًا: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة عيد الفطر، وليلة عيد الأضحى. وزاد بعضهم: ليلة الجمعة، وليلة عرفة.

وقد ورد في بعض الأحاديث: «**إن الدعاء في هذه الليلة لا يرد**».

وورد في ذلك بعض الأدعية غير الثابتة عن النبي ﷺ فليدع المسلم بما شاء.

وظائف شهر شعبان

أخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث أسامة بن زيد قال: كان رسول الله ﷺ يصوم الأيام يسرد حتى نقول لا يفطر ويفطر الأيام حتى لا يكاد يصوم إلا يومين من الجمعة إن كانا في صيامه وإلا صامهما ولم يكن يصوم من الشهور ما يصوم من شعبان فقلت يا رسول الله إنك تصوم حتى لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتهما؟ قال: أي يومين قلت: يوم الاثنين ويوم الخميس قال: ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على ربّ العالمين وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم

قلت: ولم أرك تصوم من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع الأعمال فيه إلى رب العالمين عز وجل فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم. قد تضمن هذا الحديث ذكر صيام رسول الله ﷺ من جميع السنة وصيامه من أيام الأسبوع وصيامه من شهور السنة فأما صيامه من السنة فكان يسرد الصوم أحيانا والفطر أحيانا فيصوم حتى يقال: لا يفطر ويفطر حتى يقال: لا يصوم.

وقد روي ذلك أيضًا عن عائشة وابن عباس وأنس وغيرهم ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وفيهما عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصوم إذا صام حتى يقول القائل: لا والله لا يفطر ويفطر إذا فطر حتى يقول القائل: لا والله لا يصوم وفيهما عن أنس أنه سئل عن صيام النبي ﷺ فقال: ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائمًا إلا رأيته ولا مفطرًا إلا رأيته ولا من الليل قائمًا إلا رأيته ولا نائمًا إلا رأيته ولمسلم عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقال: قد صام قد صام ويفطر حتى يقال: قد أفطر قد أفطر.

وقد كان رسول الله ﷺ ينكر على من يسرد صوم الدهر ولا يفطر منه ويخبر عن نفسه: أنه لا يفعل ذلك ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال له: «**أتصوم النهار** وتقوم

الليل؟ قال: نعم فقال النبي ﷺ: **لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمسّ النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**» وفيهما عن أنس: أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج النساء وقال بعضهم: لا ءاكل اللحم وقال بعضهم: لا أنام على فراش فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب وقال: «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**» وخرّجه النسائي وزاد فيه: وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر وفي مسند الإمام أحمد عن رجل من الصحابة قال: ذكر لرسول الله ﷺ مولاة لبني عبد المطلب فقيل: إنها قامت الليل وتصوم النهار فقال النبي ﷺ: «**لكني أنا أنام وأصلي وأصوم وأفطر فمن اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني**[1]» إن لكل عمل شدة وفترة فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضل ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى وفي المسند وسنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها أن عثمان بن مظعون أراد التبتل فقال له رسول الله ﷺ: «**أترغب عن سنتي؟** قال: لا والله ولكن سنتك أريد قال: **فإني أنام وأصلي وأصوم وأفطر وأنكح النساء فاتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقًا وإن لضيفك عليك حقًا وإن لنفسك عليك حقًا فصم وأفطر وصلّ ونم**».

---

(١) يعني من رغب عن شريعتي فليس مني، وليس معنى سنّتي هنا صلاة السنّة التطوع.

وقد قال عكرمة وغيره: إن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب والمقداد وسالمًا مولى أبي حذيفة في جماعة تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء وحرموا -أي منعوا أنفسهم- طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل وهموا بالاختصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت فيهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

وفي صحيح البخاري أن سلمان الفارسي زار أبا الدرداء وكان النبي ﷺ قد ءاخى بينهما فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك متبذلة؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء لا حاجة له في الدنيا فلما جاء أبو الدرداء قرب له طعامًا قال له: كل فقال إني صائم فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان: نم ثم ذهب ليقوم فقال له: نم فلما كان من ءاخر الليل قال سلمان: قم الآن فقاما فصليا فقال سلمان: **إن لنفسك عليك حقًا وإن لضيفك عليك حقًا وإن لأهلك عليك حقًا فأعط كل ذي حق حقه** فأتيا النبي ﷺ فذكروا ذلك له فقال: صدق سلمان وفي رواية في غير الصحيح قال: ثكلت[1] سلمان أمه لقد أشبع من العلم وهكذا قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص لما كان يصوم الدهر فنهاه وأمره أن يصوم صوم داود يصوم يومًا ويفطر

---

(١) ليس للدعاء عليه بل للتنبيه.

يومًا وقال له: لا أفضل من ذلك وقد ورد النهي عن صيام الدهر والتشديد فيه وهذا كله يدل على أن أفضل الصيام أن لا يستدام بل يعاقب بينه وبين الفطر وهذا هو الصحيح من قولي العلماء وهو مذهب أحمد وغيره وقيل لعمر: إن فلانًا يصوم الدهر فجعل يقرع رأسه بقناة معه ويقول: كل يا دهر كل يا دهر خرجه عبد الرزاق.

وقد أشار النبي ﷺ إلى الحكمة في ذلك من وجوه: منها: قوله ﷺ في صيام الدهر: «**لا صام ولا أفطر**» يعني أنه لا يجد مشقة الصيام ولا فقد الطعام والشراب والشهوة لأنه صار الصيام له عادة مألوفة فربما تضرر بتركه فإذا صام تارة وأفطر أخرى حصل له بالصيام مقصوده بترك هذه الشهوات وفي نفسه داعية إليها وذلك أفضل من أن يتركها ونفسه لا تتوق إليها ومنها قوله ﷺ في حق داود عليه السلام: كان يصوم يومًا ويفطر يومًا ولا يفر إذا لاقى يشير إلى أنه كان لا يضعفه صيامه عن ملاقاة عدوه ومجاهدته في سبيل الله ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه يوم الفتح وكان في رمضان: «**إن هذا يوم قتال فأفطروا**» وكان عمر إذا بعث سرية قال لهم: لا تصوموا فإن التقوى على الجهاد أفضل من الصوم.

فأفضل الصيام أن لا يضعف البدن حتى يعجز عما هو أفضل منه من القيام بحقوق الله تعالى أو حقوق عباده اللازمة فإن أضعف عن شيء من ذلك مما هو أفضل منه كان تركه أفضل فالأول: مثل أن يضعف الصيام عن الصلاة أو عن الذكر أو عن العلم كما قيل

في النهي عن صيام الجمعة ويوم عرفة بعرفة أنه يضعف عن الذكر والدعاء في هذين اليومين وكان ابن مسعود يقل الصوم ويقول: إنه يمنعني من قراءة القرءان وقراءة القرءان أحب إلي فقراءة القرءان أفضل من الصيام نص عليه سفيان الثوري وغيره من الأئمة وكذلك تعلم العلم النافع وتعليمه أفضل من الصيام وقد نص الأئمة الأربعة على أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة والصلاة أفضل من الصيام المتطوع به فيكون العلم أفضل من الصيام بطريق الأولى فإن العلم مصباح يستضاء به في ظلمة الجهل والهوى فمن سار في طريق على غير مصباح لم يأمن أن يقع في بئر بوار فيعطب قال ابن سيرين: إن قومًا تركوا العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا بغير علم والله ما عمل أحد بغير علم إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح والثاني: مثل أن يضعف الصيام عن الكسب للعيال أو القيام بحقوق الزوجات فيكون تركه أفضل وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**إن لأهلك عليك حقا**».

وقد خرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى رمضان**» وصححه الترمذي وغيره واختلف العلماء في صحة هذا الحديث ثم في العمل به: فأما تصحيحه فصححه غير واحد منهم الترمذي وابن حبان والحاكم

والطحاوي وابن عبد البر وتكلم فيه من هو أكبر من هؤلاء وأعلم وقالوا: هو حديث منكر منهم عبد الرحمٰن بن المهدي والإمام أحمد وأبو زرعة الرازي والأثرم وقال الإمام أحمد: لم يرو العلاء حديثًا أنكر منه ورده بحديث: **لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين** فإن مفهومه جواز التقدم بأكثر من يومين وقال الأثرم الأحاديث كلها تخالفه يشير كلها تخالفه يشير إلى أحاديث صيام النبي ﷺ شعبان كله ووصله برمضان ونهيه عن التقدم على رمضان بيومين فصار الحديث حينئذ شاذًا مخالفًا للأحاديث الصحيحة وقال الطحاوي هو منسوخ وحكى الإجماع على ترك العمل به وأكثر العلماء على أنه لا يعمل به وقد أخذ ءاخرون منهم الشافعي وأصحابه ونهوا عن ابتداء التطوع بالصيام بعد نصف شعبان لمن ليس له عادة ووافقهم بعض المتأخرين من أصحابنا ثم اختلفوا في علة النهي فمنهم من قال: خشية أن يزاد في شهر رمضان ما ليس منه وهذا بعيد جدًا فيما بعد النصف وإنما يحتمل هذا في التقديم بيوم أو يومين ومنهم من قال: النهي للتقوى على صيام رمضان شفقة أن يضعفه ذلك عن صيام رمضان وروي ذلك عن وكيع ويرد هذا صيام النبي ﷺ شعبان كله أو أكثره ووصله برمضان هذا كله بالصيام بعد نصف شعبان.

وأما صيام يوم النصف منه فغير منهي عنه فإنه من جملة أيام البيض الغر المندوب إلى صيامها من كل شهر وقد ورد الأمر بصيامه

من شعبان بخصوصه ففي سنن ابن ماجه بإسناد ضعيف عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إذا كان ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول: ألا مستغفر فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلًى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر**» وفي فضل ليلة نصف شعبان أحاديث أخر متعددة وقد اختلف فيها فضعفها الأكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه ومن أمثلها حديث عائشة قالت: فقدت النبي ﷺ فخرجت فإذا هو بالبقيع رافعًا رأسه إلى السماء فقال: **أكنت تخافين أن يحيف الله عليك** ورسوله فقلت يا رسول الله ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال: **إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب** خرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وذكر الترمذي عن البخاري أنه ضعفه وخرج ابن ماجه من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: **إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**» وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليطلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين مشاحن أو قاتل نفس**» وخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث معاذ مرفوعًا ويروى من حديث عثمان بن أبي العاص مرفوعًا: «**إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد: هل من مستغفر فأغفر له**

هل من سائل فأعطيه فلا يسأل أحد شيئًا إلا أعطيه إلا زانية بفرجها أو مشركًا»، ويروى عن نوف البكالي أن عليًّا خرج ليلة النصف من شعبان فأكثر الخروج فيها ينظر إلى السماء فقال: إن داود عليه السلام خرج ذات ليلة في مثل هذه الساعة فنظر إلى السماء فقال إن هذه الساعة ما دعى الله أحد إلا أجابه ولا استغفره أحد من هذه الليلة إلا غفر له ما لم يكن عشارًا أو ساحرًا أو شاعرًا أو كاهنًا أو عريفًا أو شرطيًا أو جابيًا أو صاحب كوبة أو غرطبة قال نوف: الكوبة الطبل والغرطبة: الطنبور، اللهم رب داود اغفر لمن دعاك في هذه الليلة ولمن استغفرك فيها وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها وقد قيل إنه بلغهم في ذلك ءاثار إسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك فمنهم من قبله منهم وافقهم على تعظيمها منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز منهم عطاء وابن أبي مليكة ونقله عبد الرحمـٰن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة وهو قول أصحاب مالك وغيرهم وقالوا: ذلك كله بدعة واختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين: أحدهما: أنه يستحب إحياؤها جماعة في المساجد كان خالد ابن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في

المسجد ليلتهم تلك ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك وقال في قيامها في المساجد جماعة: ليس ببدعة نقله عنه حرب الكرماني في مسائله والثاني: أنه يكره الإجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء[1] ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامله إلى البصرة عليك بأربع ليال من السنة فإن الله يفرغ فيهن الرحمة إفراغًا أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة الأضحى وفي صحته عنه نظر وقال الشافعي رضي الله عنه: بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال: ليلة الجمعة والعيدين وأول رجب ونصف شعبان قال: وأستحب كل ما حكيت في هذه الليالي ولا يعرف للإمام أحمد كلام في ليلة نصف شعبان ويتخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد فإنه في رواية لم يستحب قيامها جماعة لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمـٰن بن يزيد بن الأسود وهو من التابعين فكذلك قيام ليلة النصف لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام وروي عن كعب قال: إن الله تعالى يبعث ليلة النصف من شعبان جبريل عليه السلام إلى الجنة

---

(١) أي على معنى يوهم الناس أنه واردٌ في أصل الشريعة.

فيأمرها أن تتزين ويقول: إن الله تعالى قد أعتق في ليلتك هذه عدد نجوم السماء وعدد أيام الدنيا ولياليها وعدد ورق الشجر وزنة الجبال وعدد الرمال وروى سعيد بن منصور حدثنا أبو معشر عن أبي حازم ومحمد بن قيس عن عطاء بن يسار قال: ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده كلهم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم فيا من أعتق فيها من النار هنيئًا لك المنحة الجسيمة ويا أيها المردود فيها جبر الله مصيبتك هذه فإنها مصيبة عظيمة.

بكيت على نفسي وحق لي البكا ... وما انا من تضييع في شك

لئن قلت أني في صنيعي محسن ... فإني في قولي لذلك ذو إفك

ليالي شعبان وليلة نصفه ... بأية حال قد تنزل لي صكي

وحق لعمري أن أديم تضرعي ... لعل إله الخلق يسمح بالفك

فينبغي للمؤمن أن يتفرغ في تلك الليلة لذكر الله تعالى ودعائه بغفران الذنوب وستر العيوب وتفريج الكروب وأن يقدم على التوبة فإن الله تعالى يتوب فيها على من يتوب.

فقم ليلة النصف الشريف مصليا ... فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه

فكم من فتى قد بات في النصف آمنا ... وقد نسخت فيه صحيفة حتفه

فبادر بفعل الخير قبل انقضائه ... وحاذر هجوم الموت فيه بصرفه

وصم يومها لله وأحسن رجاءه لتظفر عند الكرب منه بلطفه

ويتعين على المسلم أن يجتنب الذنوب التي تمنع من المغفرة وقبول الدعاء في تلك الليلة[1] وقد روي: أنها: الشرك وقتل النفس والزنا وهذه الثلاثة أعظم الذنوب عند الله كما في حديث ابن مسعود المتفق على صحته أنه سأل النبي ﷺ: **أي الذنب أعظم؟ قال أن تجعل لله ندًا وهو خلقك قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني بحليلة جارك** فأنزل الله تعالى ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ الآية ومن الذنوب المانعة من المغفرة أيضًا الشحناء وهي حقد المسلم على أخيه بغضًا له لهوى نفسه وذلك يمنع أيضًا من المغفرة في أكثر أوقات المغفرة والرحمة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا**»، وقد فسر الأوزاعي هذه الشحناء المانعة بالذي في قلبه شحناء لأصحاب النبي ﷺ ولا ريب أن هذه الشحناء أعظم جرمًا من مشاحنة الأقران بعضهم بعضًا وعن الأوزاعي أنه قال

---

(١) يجب على المكلّف أن يترك كل الذنوب ويتوب منها فورًا إن كان واقعًا فيها وليس هذه المذكورات فقط.

المشاحن كل صاحب بدعة فارق عليها الأمة وكذا قال ابن ثوبان: المشاحن هو التارك لسنة النبي ﷺ الطاعن على أمته السافك دماءهم وهذه الشحناء أعني شحناء البدعة توجب الطعن على جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم كبدع الخوارج والروافض ونحوهم فأفضل الأعمال سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها وأفضلها السلامة من شحناء أهل الأهواء والبدع التي تقتضي الطعن على سلف الأمة وبغضهم والحقد عليهم واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم ثم يلي ذلك سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين وإرادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه وقد وصف الله تعالى المؤمنين عمومًا بأنهم يقولون: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ وفي المسند عن أنس أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «**ثلاثة أيام يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فيطلع رجل واحد فاستضافه عبد الله بن عمرو فنام عنده ثلاثًا لينظر عمله فلم ير له في بيته كبير عمل فأخبره بالحال فقال له هو ما ترى إلا أني أبيت وليس في قلبي شيء على أحد من المسلمين فقال عبد الله: بهذا بلغ ما بلغ وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال: قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: «**مخموم القلب صدوق اللسان**، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟

قال: هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»،

قال بعض السلف: أفضل[1] الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس والنصحة للأمة وبهذه الخصال بلغ من بلغ لا بكثرة الاجتهاد في الصوم والصلاة إخواني اجتنبوا الذنوب التي تحرم العبد مغفرة مولاه الغفار في مواسم الرحمة والتوبة والاستغفار أما الشرك: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وأما القتل فلو اجتمع أهل السموات وأهل الأرض على قتل رجل مسلم بغير حق لأكبهم الله جميعا في النار وأما الزنا فحذار حذار من التعرض لسخط الجبار الخلق كلهم عبيد الله وإماؤه والله يغار[2] لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته فمن أجل ذلك حرم الفواحش وأمر بغض الأبصار وأما الشحناء فيا من أضمر لأخيه السوء وقصد له الإضرار: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

(١) من أفضل.

(٢) أي يكره لعبده المؤمن فعل الفواحش والمحرمات وحقيقة الغيرة مستحيلةٌ على الله لأنّ الله ليس كمثله شيء.

يكفيك حرمان المغفرة في أوقات مغفرة الأوزار

خاب عبد بارز المو　لى بأسباب المعاصي

ويحه مما جناه　لم يخف يوم القصاص

يوم فيه ترعد الأقد　ام من شيب النواصي

لي ذنوب في ازدياد　وحياة في انتقاص

فمتى أعمل ما أعلم　لي فيه خلاصي

وقد روي عن عكرمة وغيره من المفسرين في قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أنها ليلة النصف من شعبان والجمهور على أنها ليلة القدر وهو الصحيح وقال عطاء بن يسار: إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال: اقبض من في هذه الصحيفة فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وأن اسمه قد نسخ في الموتى ما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه يا مغرورًا بطول الأمل يا مسرورًا بسوء العمل كن من الموت على وجل فما تدري متى يهجم الأجل.

كل امرىء مصبح في أهله　والموت أدنى من شراك نعله

قال بعض السلف: كم من مستقبل يومًا لا يستكمله ومن

مؤمل غدًا لا يدركه إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

أؤمــل أن أخــلــد والمــنــايــا	تــدور علي من كل النواحي
وما أدري وإن أمسيت يوما	لعلي لا أعيش إلى الصباح
كم ممن راح في طلب الدنيا أو غدا	أصبح من سكان القبور غدا
كـأنـك بـالمـضي إلى سبيلك	وقد جد المجهز في رحيلك
وجـيء بغاسل فاستعجلوه	بقولهم له أفرغ من غسيلك
ولم تحمل سوى كفن وقطن	إليهم من كثيرك أو قليلك
وقـد مد الرجال إليك نعشا	فأنت عليه ممـدود بطولك
وصـلـوا ثـم إنهـم تـداعـوا	لحملك من بكورك أو أصيلك
فلما أسـلـموك نـزلـت قبرا	ومن لك بالسلامة في نزولك
أعـانـك يـوم تدخله رحيم	رؤوف بالعباد على دخولك
فسوف تجـاور الموتى طويلا	فذرني من قصيرك أو طويلك
أخي لقد نصحتك فاسمع لي	وبـالله استعنت على قبولك
ألست تـرى المنايا كل حين	تصيبك في أخيك وفي خليلك

وقد ثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال لرجل: «**هل صمت من سرر هذا الشهر شيئًا؟**» قال: لا قال:

«**فإذا أفطرت فصم يومين**» وفي رواية للبخاري أظنه يعني رمضان وفي رواية لمسلم وعلقها البخاري: «**هل صمت من سرر شعبان شيئًا**» وفي رواية: «**فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه**» وفي رواية: **يومًا أو يومين** شك شعبة وروي: من سرار الشهر وقد اختلف في تفسير السرار والمشهور إنه ءاخر الشهر يقال: سرار الشهر وسراره بكسر السين وفتحها ذكره ابن السكيت وغيره وقيل: إن الفتح أفصح قاله الفراء وسمي ءاخر الشهر سرارًا: لاستترار القمر فيه وممن فسر السرار بآخر الشهر أبو عبيد وغيره من الأئمة وكذلك بوب عليه البخاري صيام ءاخر الشهر وأشكل هذا على كثير من العلماء في الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين إلا من كان يصوم صومًا فليصمه**» فقال كثير من العلماء كأبي عبيد ومن تابعه كالخطابي وأكثر شراح الحديث: أن هذا الرجل الذي سأله النبي ﷺ كان يعلم أن له عادة بصيامه أو كان قد نذره فلذلك أمره بقضائه وقالت طائفة: حديث عمران يدل على أنه يجوز صيام يوم الشك وءاخر شعبان مطلقًا سواء وافق عادة أو لم يوافق وإنما ينهى عنه إذا صامه بنية الرمضانية احتياطًا وهذا مذهب مالك وذكر أنه القول الذي أدرك عليه أهل العلم حتى قال محمد بن مسلمة من أصحابه: يكره الأمر بفطره لئلا يعتقد وجوب الفطر قبل الشهر كما وجب بعده وحكى ابن عبد البر هذا القول عن أكثر علماء الأمصار

وذكر محمد بن ناصر الحافظ: إن هذا هو مذهب أحمد أيضًا وغلط في نقله هذا عن أحمد ولكن يشكل على هذا الحديث أبي هريرة رضي الله عنه وقوله: إلا من كان يصوم صومًا فليصمه وقد ذكر الشافعي في كتاب مختلف الحديث احتمالًا في معنى قوله: إلا من كان يصوم صومًا فليصمه، وفي رواية: إلا أن يوافق ذلك صومًا كان يصومه أحدكم أن المراد بموافقة العادة صيامه على عادة الناس في التطوع بالصيام دون صيامه بنية الرمضانية للاحتياط.

صفات الله أزلية لا تتغير

ذكر العلماء أن صفات الله لا تتغير وأنه ليس لها بداية فهي ليست حادثة مخلوقة فلا يجوز التغير والتطور في صفات الله ولمزيد من الفائدة وخصوصًا أننا سنتناول أمرًا مهمًا من أمور العقيدة وهو موضوع القضاء والقدر نذكر هذه الصفاتُ الثلاثَ عشرةَ الواجبةُ لله التي تجب معرفتها على كل مكلف ولا يجب عليه حفظ ألفاظها وهي:

* الوجودُ أي أن الله تعالى موجودٌ قال الله تعالى ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[1]، وقال النبيُّ ﷺ «**كان الله ولم يكن شىءٌ غيرُه**».
* والوحدانيةُ أي أنه واحد لا شريك له قال الله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2]، أي لوكان لهما ءالهةٌ غيرُ الله لفسدتا، أو «في» هنا بمعنى «على» أي لوكان عليهما أي مسيطرٌ على الأرض والسماء ءالهة إلا الله أي غير الله لفسدتا أي السموات والأرضُ.
* والقِدمُ أي أنه لا ابتداءَ لوجودهِ قال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[3].

---

(1) سورة إبراهيم/ ءاية ١٠.

(2) سورة الأنبياء/ ءاية ٢٢.

(3) سورة الحديد/ ءاية ٣.

* والبقاءُ أي أنه لا نهاية لوجوده لا يموتُ ولا يَهلِكُ ولا يتغير قال الله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[1] أي ذاتُه.

* والقيامُ بالنفس أي أنه مُسْتَغْنٍ عن كل ما سواه وكلُّ ما سواهُ محتاجٌ إليه، فالعالَمُ لا يستغني عن الله طرفة عينٍ قال الله تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

* والقدرةُ أي أن الله قادرٌ على كل شىء أي كل ممكن عقلي يجوز عقلًا وجوده وعدمه، فالله لا يعجزه شىء قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

والقدرة صفة أزلية أبدية يؤثر الله بها في الممكنات إيجادًا وإعدامًا.

* والإِرادةُ أي المشيئةُ وهي تخصيصُ الممكن العقلي ببعض ما يجوز عليه من الصفات دون بعض وبوقت دون ءاخر قال الله تعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

* والعِلمُ أي أنّ الله يعلم كل شىء بعلمه الأزلي ولا يتجدد له علم لأن علمه علم واحدٌ شاملٌ لكلّ المعلومات قال الله

---

(١) سورة الرحمـٰن/ ءاية ٢٧.

(٢) سورة ءال عمران/ ءاية ٩٧.

(٣) سورة المائدة/ ءاية ١٢٠.

(٤) سورة التكوير/ ءاية ٢٩.

تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1].

* والسمعُ والبصرُ أي أن الله يسمع بسمعه الأزلي الذي ليس كسمع غيره ويرى برؤيته التي ليست كرؤية غيره قال الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].

* والحياةُ أي أن الله حيٌّ بحياة أزلية أبدية ليست بروح ولحم ودم قال الله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[3].

* والكلامُ أي أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام أزلي أبديّ ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً قال الله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[4].

* والمخالفةُ للحوادث أي جميع المخلوقات أي أنه لا يشبه شيئًا من خلقه قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[5].

فلمَّا كانت هذهِ الصِّفَاتُ ذِكْرُها كَثيرًا في النُّصوصِ الشرعِيّةِ قَالَ العلماءُ تجبُ معرِفَتها وُجوبًا عَينيًّا على كل مكلف نَصَّ على ذلك العديد من العلماء المتأخرين منهم محمدُ بنُ يوسفَ السنُوسيُّ

---

(١) سورة الطلاق/ ءاية ١٢.

(٢) سورة الشورى/ ءاية ١١.

(٣) سورة البقرة/ ءاية ٢٥٥.

(٤) سورة النساء/ ءاية ١٦٤.

(٥) سورة الشورى/ ءاية ١١.

صاحبُ العقيدةِ السنوسية المتوفَّى سنة ثمانمائةٍ وخمسٍ وتسعين، ومحمدُ بنُ الفَضاليّ الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وست وثلاثين، وعبد المجيد الشُّرنُوبي المالكي المتوفى سنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين، وقبلهم بكثير ذكر مثل ذلك أبو حنيفة في كتاب «الفقه الأكبر»، وعلى مثل ذلك نص الحافظ النووي في كتاب «المقاصد»، وغيرُهم كثير.

ثم إن المتأخرين من علماء أهل السنة اصطلحوا على تسمية سبع صفات صفات المعاني كما تقدم وهي القدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام والحياة مع الخلاف في عدّ البقاء معها، وتسميةِ سبعٍ لازمةٍ لهذه السبع بالصفات المعنوية وهي كونه تعالى قادرًا وكونه مريدًا وكونه عالمًا وكونه حيًّا وكونه سميعًا وكونه بصيرًا وكونه متكلمًا، وقال بعضهم تجب معرفتها كلها عينًا، واقتصر بعضهم على الاكتفاء بمعرفة السبع الأولى عن معرفة الصفات السبعة المعنوية لأن معرفة صفاتِ المعاني تستلزم معرفة ثبوت الصفات المعنوية لله فإنه يلزم من معرفة ثبوت العلم لله معرفةُ كونه عالمًا أمّا الصفات السّلبية والصفة النفسية فلا بد من معرفتها.

لما كان ذاتُ الله أزليًّا وجب أن تكون صفاتُه أزليةً، ومعنى صفاته المعاني القائمةُ بذاته كالقدرة والإرادة، ولما كان ذات الله أزليًّا علمنا أن قدرته أزلية وكذلك سائر صفاته لأنه لوكان يحدث

في ذات الله تعالى حوادث لوجب أن يكون ذاته حادثًا لأن معنى ذلك أنه يتغير من حال إلى حال والمتغير لا يكون إلـهًا، فلما ثبت في العقل قِدمُ الله تعالى وأزليتُه ثبوتًا قطعيًّا وجب أن تكون صفاته أزلية.

ثم إن علماء أهل السّنة قالوا تجب معرفة الدليل العقلي على وجود الله فمن لم يعرفه فهو مؤمن عاصٍ، ويكفي أن يقول الشخص في قلبه لو لم يكن الله تعالى موجودًا قائمًا بنفسه لا يحتاج لغيره لم يَحْدُث هذا العالم، وكذلك بقية الصفات لو لم يكن متصفًا بها لم يحدث شيء من هذا العالم، والعالم وجودُه مشاهدٌ فوجب أن يكون بإيجاد الله.

ومما يجب على المكلف أيضًا الإيمانُ بالقدر خيره وشرّه. لفظَةُ القدر أُطلِقَت في هذه العبارة ويرادُ بها معنيان أحدهما تقديرُ الله والآخرُ المقدورُ من خيرٍ وشر، ذُكِرَ القدر أوّلا بمعنى تقدير الله ثم أعيد الضميرُ إليه بمعنى المقدورِ وذلك لأن تقدير الله حسنٌ ليس شرًّا، والمقدورُ يشملُ الحسنَ والقبيحَ والخيرَ والشرَّ. وهذا نوعٌ من أنواعِ البلاغةِ معروفٌ عند العرب، يذكرون اللفظ بمعنًى ويعيدون الضمير عليه بمعنًى ءاخر وذلك كقول الشاعر: [الوافر]

إذا نـزلَ السَماءُ بـأرضِ قومٍ ... رَعَيْنَاهُ وإنْ كانوا غِضَابا

وقولُهُ «إذا نَزلَ السماءُ» أي المطرُ، وقوله «رعيناهُ» أي المرعى

الذي هو بسببِ المطرِ يَحصُل. فالواجب الذي هو أحدُ أركان الإيمانِ الستة هو الرِضا بقدَر الله أي تقديرِهِ، وأما المقدور فيجب الإيمانُ بأن كلّ المقدورات بتقدير الله تحصُل ما كان خيرًا وما كان شرًّا، فما كان من المقدور خيرًا يجبُ الرضا به وما كان منه شرًّا يجب كراهيتُهُ كالكفر والمعاصي وقد وردَ في حديثِ جبريلَ الصحيح المشهورِ لفظُ «والقَدرِ خيرِهِ وشرّهِ» رواه مسلم، وفي لفظ «والقدر كلّه». ومعنى ذلكَ أنّ كل ما دخلَ في الوجود من خيرٍ وشر هو بتقدير الله الأزلي، فالخَيرُ من أعمالِ العبادِ بتقديرِ الله ومحبَّته ورضاه، والشرُّ من أعمالِ العباد بتقدير الله لا بمحبَّته ورضاه قال تعالى ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾[1] قال ابنُ عبّاس: «يحُول بيَن الكافِرِ والإِيمانِ، وبين المؤمنِ والكفر»، روى ذلك البيهقي في كتابِ القَدَر والحاكمُ في المستدرك.

وليُعلَمْ أنّ مشيئة الله وتقديره لا يتغيران لأن التغيُّر مستحيلٌ على الله. وأما حديثُ «**لا يرد القدرَ شيء إلا الدعاءُ**» فهذا راجع إلى القدر المعلق ليس إلى القدر المبرَم.

ويناسب هنا إيراد عبارة البيهقي في كتابه القضاءُ والقدرُ من حديث عليّ ابن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ «**مَن سرَّه أن يمُدَّ الله في عُمُره ويوسّع له رِزقَه ويدفَع عنه مِيْتةَ السُّوء فليتَّقِ الله**

---

(١) سورة الأنفال/ ءاية ٢٤.

ولبصِلْ رَحِمَه».

قال الشيخ (يعني البيهقي): «وتفسير ذلك وما قبله في قول ابن عبّاس أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي قالا حدَّثنا أبو العبّاس محمدُ بنُ يَعقُوبَ حدَّثنا أبو جعفر محمّدُ بنُ عُبَيد الله بن المُنادي حدَّثنا شُجاعُ بنُ الوليد حدَّثنا أبو سلَمةَ عَمرو بنُ الجُون الدالانيُّ عن عطاءِ بن أبي رباح عن ابن عبّاسٍ قال: إن الحَذَر لا يُغْني مِنَ القَدرِ، وإنَّ الدعاءَ يَدفَعُ القَدَرَ وهو إذا دَفعَ القَدَرَ فهو مِنَ القَدرِ» اهـ.

وروى البيهقي من طريق عبد الله بن عباسٍ أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسَرْغٍ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدةَ بن الجراح وأصحابه فأخبروه أنَّ الوباءَ وقع بالشام، وساق الحديث في استشارتِه إياهم واختلافهم عليه إلى أن قال: «فنادى عمر بالناس إني مصبحٌ على ظهرٍ فأصبِحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفِرارًا من قدر الله؟، فقال عمر: لو قالها غيرك يا أبا عبيدة، نعم نَفِر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيتَ لو كان لك إبل فهبطت واديًا له عُدْوتان إحداهما خِصْبَةٌ والأخرى جَدْبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، قال: فجاء عبد الرحمـٰن بن عوفٍ وكان متغيبًا في بعض حاجته فقال: إنَّ عندي من هذا علمًا سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تَقْدَموا عليه وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه» قال

فحمد الله عمر ثم انصرف» اهـ.

قال البيهقي: «قال أصحابنا في هذا الخبر إنَّ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه استعمل الحذر وأثبت القدر معًا وهو طريق السنة ونَهْج السلف الصالح رحمة الله عليهم والذي روينا: «لا ينفع حذرٌ من قدر» معناه فيما كتب من القضاء المحتوم كما لا ينفع الدعاء والدواء في رد الموت إذا جاء الأجل المكتوب المحتوم في أم الكتاب» اهـ.

قال البيهقي: «وحدَّثنا أبو عبد الله الحافظُ حدَّثنا أبو عبد الله محمدُ بنُ يعقوبَ الحافظُ حدَّثنا حامِدُ بنُ محمودٍ حدَّثنا إسحـقُ بنُ سُلَيمانَ الرازيُّ حدَّثنا حنظلةُ عن طاوسَ عن ابنِ عبّاسٍ قال: لا ينفعُ الحذَر من القدرِ ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلّ يمحُو بالدعاءِ ما شاءَ من القَدرِ» انتهى أي المقدور لأنّ القدر بمعنى تقدير الله لا يَدْخلُه المحْو لأنّه أزليٌّ.

قال البيهقي: «وحدَّثنا أبو عبد الله الحافظُ حدَّثنا أبو العبّاس محمّدُ بنُ يعقوبَ حدَّثنا محمّدُ بنُ إسحـقَ الصّغانيُّ حدَّثنا رَوحُ بنُ عُبادة حدَّثنا حمادُ بنُ سلَمةَ عن سليمانَ التّيميّ عن عِكرمةَ عن ابن عبّاس في قول الله عزَّ وجلَّ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] قال ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ

(١) سورة الرعد/ ءاية .

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ من أحد الكتابين هما كتابان يمحو الله ما يشاءُ من أحدهما ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾» أي جُملةُ الكتابِ» اهـ، معناه اللوحُ المحفوظُ يشتمل على المَحْوِ والمثبَتِ، وأما في غير اللوحِ المحفوظِ مما يستنسِخُهُ الملائكةُ أو يكتبهُ المَلَكُ في أمرٍ خاصٍ هذا فيه ذِكْرُ أحدِ الوجهينِ أي أنهم كتَبوا في صحُفهم مثلًا فلانٌ إن وصَل رحمَه يعيش إلى المائة وإن لم يصلْ رحمَه يعيش إلى السّتين أمّا أيُّ الأمرين سيقع أخيرًا هم لا يعرفون في الابتداء، ليس موكولًا إلى الملائكة عِلْمُ المستقبل إنما هم يكتبون ما أُمِروا به وهذا بالنسبة لمن لم يُطلِعْه الله منهم على الأمرين. فأحَدُ الكتابين هو اللوحُ المحفوظُ والآخرُ هو الذي في أيدي الملائكةِ الذين أُمِروا بالاستنساخِ من اللوحِ.

قال الشيخُ -يعني البيهقي- «والمعنى في هذا أنَّ الله جلَّ ثناؤه قد كتب ما يصيب عبدًا من عباده من البلاءِ والحرمانِ والموتِ وغيرِ ذلك، وأنّه إن دعا الله تعالى أو أطاعه في صِلة الرحم وغيرها لم يصبه ذلك البلاء وَرَزَقَهُ كثيرًا وعمَّره طويلًا وكتب في أمّ الكتاب ما هو كائنٌ من الأمرين، فالمحو والإثباتُ يرجِعُ إلى أحدِ الكتابينِ كما أشار إليه ابنُ عبّاسٍ. والله أعلم.

وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ أخبرنا أحمدُ بن كاملٍ القاضي أخبرنا محمّدُ بنُ سَعدٍ العَوْفيُّ حدَّثنا أبي حدّثنا عمّي قال حدّثني أبي عن أبيه عطيّة عن ابن عباس في قوله ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: وهو الرَّجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو، والذي يُثبِتُ الرجلُ يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله فهو الذي يثبت اهـ.

قال الشيخ «أي البيهقي»: وقد دلَّ بعض ما مضى من السُّنن أنَّ الواحد منّا قد يعمل زمانًا بمعصية الله ثم يُختم له بعمل أهل الجنّة، ويعمل الآخر زمانًا بطاعة الله ثم يُختم له بعمل أهل النار فيرجع كل واحد منهما إلى ما سبق من علم الله فيهما فيحتمل أن يكون المحو والإِثبات راجعين إلى عملهما والله أعلم.

وأمَّا ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني محمّدُ بنُ إسمٰعيلَ السُّكَّريُّ حدَّثنا أبو قريش حدَّثنا أبو محمّدٍ نَصرُ بنُ خَلَفٍ النّيسابوريُّ حدَّثنا يَعْلَى بنُ عُبَيدٍ حدَّثنا عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ إسحٰقَ عن القاسِم بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ عن أبيهِ عن عبدِ اللهِ هو ابنُ مَسعُود قال: ما دَعا عبدٌ بهذه الدّعَواتِ إلا وسَّع الله عليه في معيشته: يا ذا المنّ ولا يُمنُّ عليك، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطَّوْل لا إِلٰه إلا أنت ظهرَ اللاجئين وجارَ المستجيرين ومأمن الخائفين، إن كنت كتبتني في أمّ الكتاب عندك شقيًّا فامح عنّي اسم الشقاء وأثبتني عندك سعيدًا، وإن كنت كتبتني في أُمّ الكتاب محرومًا مقتّرًا عليَّ رزقي فامح عنّي حرماني وتقتير رزقي وأثبتني عندك سعيدًا موفقًا للخير فإنك تقول في كتابك ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال: فهذا موقوف.

وروي عن أبي حَكِيْمَة عن أبي عثمانَ النَّهْدِي قال سمعت عمرَ ابنَ الخطّاب وهو يطوف بالكعبة يقول: اللَّهمَّ إن كنت كتبتني في السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتَ عليَّ الشّقاوةَ والذنب والمَقت فامحني وأثبتني في السعادة ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. هكذا رواه حمّاد بن سلمة عن أبي حكيمة وبمعناه رواه هشام الدَّستوائي عن أبي حكيمة مختصرًا وقال «فإنَّك تمحو ما تشاء وتُثبت وعندك أمّ الكتاب». وأبو حكيمة اسمه عصمة بصري تفرَّد به فإن صحَّ شيء من هذا فمعناه يرجع إلى ما ذكرنا من محو العمل والحال. وتقدير قوله: اللَّهمَّ إن كنت كتبتني أعمل عمل الأشقياء وحالي حال الفقراء برهةً من دهري فامح ذلك عنّي بإثبات عمل السعداء وحال الأغنياء، واجعل خاتمة أمري سعيدًا موفّقًا للخير فإنَّك قلت في كتابك ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي من عمل الأشقياء ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي من عمل السعداء ويبدّل ما يشاء من حال الفقر ويثبت ما يشاء من حال الغنى» انتهى كلام البيهقي، معناه غيِّر حالي وليس المعنى غيّر مشيئتك وعلمك فالتغير راجع إلى العمل ليس إلى الصفة الأزلية.

قال البيهقي: «ثمَّ المحو والإثباتُ جميعًا مسطُوران في أُمِّ الكتاب. وقد أخبرنا أبو نصر ابن قتادة أخبرنا أبو منصُور

النَّضْرَوِيُّ حدَّثنا أحمدُ بنُ نَجْدَة حدَّثنا سعيدُ بنُ منصور حدَّثنا جريرٌ عن منصور قال قلتُ لمجاهدٍ ما تقولُ في هذا الدعاءِ: اللَّهمَّ إنْ كان اسمي في السُّعداء فأثبتْه فيهم وإن كان في الأشقياء فامحه منهم واجعله في السعداء، فقال: حسنٌ. ثم مكثت حولا فسألته عن ذلك فقال ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾(1) قال: يفرق في ليلة القدر ما يكون في السّنة من رزق أو مصيبة فأمَّا كتابُ الشقاء والسّعادةِ فإنه ثابتٌ لا يُغيَّر»، انتهى كلام البيهقي، يعني رجع عن قوله الأول إلى الثاني وخص التغير بالرزق والمصيبة أي بالنعم والمصائب. أما الشقاء والسعادة فلا يدخلان.

ومعنى قوله تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي كل أمر مبرمٍ أي أنه يكون تقسيم القضايا التي تحدث في العالم من تلك الليلة إلى مثلها في العام المقبل مما يحدث في تلك السنةِ من موتٍ وصحة ومرضٍ وفقرٍ وغنًى وغير ذلك مما يطرأُ من الأحوالِ المختلفة من تلك الليلة إلى مثلها في العام القابل.

ثم قال البيهقيُّ: «أخبرنا أبو الحُسينِ بنُ بَشْرانَ أخبرنا أبو عمرو محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ الزاهدُ حدَّثنا أحمدُ بنُ عُبَيدِ الله يعني النَّرسِيَّ حدَّثنا عُبيد الله بنُ موسى حدَّثنا ابنُ أبي ليلى عن المِنْهالِ بنِ عمرو

---

(1) سورة الدخان/ ءايات ١ – ٤.

عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس في قوله عزَّ وجلّ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] قال: «يريد أمر السماء، يعني في شهر رمضان، فيمحو ما يشاء غير الشقاءِ والسعادةِ والموتِ والحياةِ».

وأخبرنا أبو زكريا أخبرنا أبو الحسَنِ الطَّرائِفيُّ حدَّثنا عثمانُ ابنُ سعيدٍ حدَّثنا عبدُ الله بنُ صَالح عن معاوية بنِ صَالح عن عليّ بنِ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عبّاسٍ في قوله تعالى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ يقول «يُبدِّلُ الله ما يشاءُ مِنَ القرءانِ فَيَنْسَخُهُ ﴿وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يقول يثبت ما يشاء لا يُبدله ﴿وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يقول: جملةُ ذلك عنده في أمّ الكتاب الناسِخ والمنسوخ وما يُبدلُ وما يثبتُ كل ذلك في كتاب»، هذا أصحّ ما قِيل في تأويل هذه الآية وأجراه على الأصول، وعلى مثل ذلك حملها الشافعي رحمه الله؛ ومن أهل العلم من زعم أنَّ المراد بالزيادةِ في العمر نفي الآفاتِ عنه والزيادةُ في عقله وفهمه وبصيرته» انتهى كلام البيهقي.

فانظر أيُّها الطالب الوقوف على الحقيقة وتأمَّل أنَّ هذه الألفاظ المروية عن مجاهد وابن مسعودٍ وعمرَ ليس فيها هذه الكلماتُ التي اعتادَ الناسُ قراءتها في ليلة النصف من شعبانَ إِنَّما المذكورُ في

---

(١) سورة الرعد/ ءاية ٣٩.

ذلك بعضُ ما يقرءونه. واعلم أنَّ البيهقي لم يصحّح شيئًا من هذه الروايات وقد أتى بصيغة الترَدُّدِ فيما روى عن عُمَرَ للدلالة على عدم ثبوته، وترجيحُهُ أن يكون المعنى المراد بالآية الناسخَ والمنسوخَ دليلٌ على أنه لم يثبت عنده ما سوى ذلك. وأنت قد رأيت أنَّ البيهقي لم يعرّج على الكلمة التي اعتادوها وهي «اللَّهمَّ أسألك بالتجلّي الأعظم في ليلة النصف من شعبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم» بالمرَّة بل الصحيح أنَّ تلك الليلة هي ليلة القدر كما يُفهم ذلك من قول الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[1] مَعَ قولِهِ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[2] وإنما الذي ورد في الحديث الصحيح «يَطَّلعُ اللهُ إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفرُ لجميع خلقه إلا لمشركٍ أو مشاحنٍ» رواه ابن حبان في صحيحه فلا تكنْ أسيرَ التقليد في غير معنًى.

(١) سورة الدخان/ ءاية ٣.

(٢) سورة القدر/ ءاية ١.

خلاصة نافعة

قال رسول الله ﷺ: «**إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها**» رواه ابن حبان. وقال: «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» رواه مسلم.

ليلة النصف من شعبان هي ليلة مباركة ومن أفضل ما يعمل المرء تلك الليلة أن يقوم ليلها ويصوم نهارها ويتّقي الله فيها، وتقوى الله معناها أداء الواجبات واجتناب المحرّمات. وينبغي للشخص في هذه الليلة كما ينبغي له في سائر الأوقات أن يتذكر أن الموت ءات لا محالة، وأن الناس سيبعثون ويحشرون ويُسألون ويُحاسبون فيفوز من ءامن واتّقى ويخسر من كفر وظلم. فعلى الإنسان أن يعتني كلّ الاعتناء بالتزوّد للآخرة بجدّ واجتهاد زائدين وفي ذلك قال بعض:

إذا العشرون من شعبان ولّت ... فواصل شرب ليلك بالنهار

ولا تشرب بأقداح صغار ... فقد ضاق الزمان عن الصغار

ومراده أن الموت ءات قريب فعليك أن تتزوّد لآخرتك من هذه الدنيا بجد زائد وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي لا تنس نصيبك لآخرتك من دنياك فمن تزود لآخرته من هذه الدنيا فهو المتزود ومن فاته التزود للآخرة من هذه الدّنيا فقد فاته التزوّد إذ لا تزود بعد الموت. ولا بد من التذكير هنا

أيضًا بأن طلب العلم الشرعي فرض واجب على كلّ مسلم، قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» رواه البيهقي. فإنّ من لم يتعلم علم الدين وقع في الحرام شاء أم أبى.

أما حديث: «**رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمّتي**» وحديث: «**رجب شهر الاستغفار وشعبان شهر الصلاة على النبيّ ورمضان شهر القرءان فاجتهدوا رحمكم الله**» فلا أصل لهما.

وأما قراءة سورة يس في هذه الليلة ففيه ثواب كما في سائر الأوقات ولكن لم يرد عن رسول الله أنّه يستحبّ قراءتها في هذه الليلة خاصة، وينبغي أن لا يُعتقد أنها هي الليلة التي يقول الله فيها: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[1]. وإن كان شاع عند بعض العوام أن هذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان فهذا غير صحيح والصواب أن هذه الليلة هي ليلة القدر ومعنى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أن الله يطلع ملائكته في هذه الليلة ليلة القدر على تفاصيل ما يحدث في هذه الليلة إلى مثلها من العام القابل من موت وحياة وولادة وأرزاق ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[2]. فسر الرسول هذه الآية بقوله: «**يغفر ذنبًا ويكشف كربًا ويرفع قومًا ويضع ءاخرين**».

---

(١) سورة الدخان/ ءاية ٤.

(٢) سورة الرحمٰن/ ءاية ٢٩.

ويوافق هذا قول الناس سبحان الذي يُغيّر ولا يتغير وهو كلام حسن جميل إذ التغيّر في المخلوقات وليس في ذات الله، ولا في صفاته. ومما ينبغي التحذير منه دعاء اعتاد بعض الناس على ترداده في هذه الليلة وهو: «اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتب محرومًا أو مطرودًا أو مقترًا عليّ في الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي واقتار رزقي...» إلخ. فهذا اللفظ روي بعضه عن عمر وابن مسعود ومجاهد ولم يثبت كما ذكرنا ءانفًا، لأن من يعتقد أن الله يغير مشيئته بدعوة داع فقد فسدت عقيدته فإن مشيئة الله أزلية أبدية لا يطرأ عليها تغير ولا تحول كسائر صفاته وعلمه وقدرته وتقديره. وكذلك فلا يجوز أن يعتقد الإنسان أن الله يحدث له مشيئة شىء لم يكن شائيًا له في الأزل، كما لا يجوز أن يقال أنه حدث له علم شىء لم يكن عالما به في الأزل، فلا تتغير مشيئة الله بدعوة داع أو صدقة متصدق أو نذر ناذر. قال رسول الله ﷺ: «**إن النذر لا يردّ من قدر الله وإنما يستخرج به من البخيل**» رواه مسلم. فما علم الله وشاء في الأزل كونه لا بدّ أن يكون ولا يتغير ذلك. وما علم أنه لا يكون فلا يدخل في الوجود.

وأما قول الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ فمعناه أن الله تعالى يمحو ما يشاء من القرءان ويرفع حكمه وينسخه ويثبت ما يشاء من القرءان فلا ينسخه. وليس المراد به أن الله يغيّر مشيئته لدعوة أو صدقة أو نذر أو غير ذلك. فلو كان الله يغير مشيئته

بدعوة لغيّرها لحبيبه المصطفى ﷺ حيث أن الرسول قال: «**سألت ربي أربعًا فأعطاني ثلاثًا ومنعني واحدة: سألته أن لا يُكفّر أمّتي جملة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بما أهلك به الأمم قبلهم فأعطانيها، وسألته أن لا يُظهر عليهم عدوّا من غيرهم فيستأصلهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**» رواه الحافظ عبد الرحمـٰن بن أبي حاتم عن أبي هريرة.

لباب النقول
في تأويل حديث النزول

فإن الإيمان بالله تعالى هو أولى ما ينبغي للمرء أن يحرص عليه، فهو أفضل الأعمال، وأنفس النعم والمنن، ومفتاح النجاة من الهلاك في الآخرة، ولذا كانت صيانة العقيدة أولى ما يتنافس في الحرص عليه، ولا سيما عند ظهور أصحاب البدع والأهواء الضالة، المشوشين على أهل الحق، المموهين على العامة بما يثبتونه من سموم شبهاتهم ليحرّفوا عقيدتهم، ويغرقوهم في مستنقعات التشبيه والكفر رافعين تارة اسم السلف الصالح، وتارة اسم أهل الحديث، وتارة اسم شيخ الإسلام فلان، أو الحافظ فلان، وتارة بالمجاهرة بالانتساب إلى الإمام المبجّل أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فيقولون: هذه عقيدتنا، نحن الحنابلة، ويوردون تحت هذا الاسم عقائد التشبيه والتجسيم، كذبا على هذا الإمام وافتراء، وزورًا وباطلا وبهتانًا، كما فضحهم من قبل إمام الحنابلة في عصره، شيخ العراق وواعظ الآفاق الحافظ العلامة المفسر المتكلم الإمام ابن الجوزي القرشي الحنبلي في كتابه النفيس «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه»، فقال يصف حالهم وكذبهم: (الطويل)

وجـاءك قوم يدّعون تمذهبا ... بمذهبه، ما كل فرع له أصلُ
ومالوا إلى التشبيه أخذًا بصورة الذي نقلوه في الصفات وهم غفلُ

وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد فمال إلى تصديقهم من به جهلُ
فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم ومذهبه التنزيه لكن هم اختلُوا
لعمري لقد أدركت منهم مشايخًا وأكثر من أدركته ما له عقلُ!

ويكفي هذه النّحلة خزيا أنها رمت بالكفر والجهل والضلال عددًا من أعلام الأمة ونجوم الأئمة، فكفاهم خزيًا تكفيرهم السلطان صلاح الدين الأيوبي، والحافظ محيي الدين النووي، وفاتح القسطنطينية، السلطان المبشَّرَ بالفتح، المخصوص بالمدح، الخليفة محمد الفاتح وغيرهم من السادة الأكابر!

ومما هو دأب هؤلاء المشوشين الخوض بين الناس والعوام باستنزالهم إلى ظواهر النصوص المتشابهة من القرءان والحديث، لإقناعهم بنسبة الجهة والحركة إلى الله تعالى، وعمدَتُهم في ذلك حديثان واردان في الصحيح: حديث الجارية، وحديث النزول.

وأما حديث النزول الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، ولفظ البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»، فلا يجوز أن يحمل على ظاهره لإثبات النزول من علو إلى سفل في حق الله تعالى.

ومن الناس كالمشبّهة مدّعي السلفية - من يفسر هذا الحديث بأن الله ينزل من علو إلى سفل ثم يتكلم بهذا الكلام. إنَّ فهمهم هذا يدل على سخافة عقولهم، وذلك لأن الليل يختلف باختلاف البلاد، فعلى قولهم يلزم أن يكون الله تعالى في السماء الدنيا طالعًا إلى العرش كل لحظة من لحظات الليل والنهار، وهذا سخافة عقل، أما عند أهل الحق الذين ينزهون الله عن الجهة والحد فإن هذا النزول ليس نزولا حسيًّا بل هو عبارة عن نزول ملائكة الرحمة إلى السماء الدنيا بأمر الله على حسب ليل كل أرض، فهؤلاء الملائكة ينزلون ثم يبلغون عن الله يقولون: إن ربكم يقول: هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، هم يبلغون عن الله بأمره ذلك إلى أن يفجر الفجر، وهذا شىء يقبله العقل أما ما يقوله المشبهة فهو شىء لا يقبله الشرع ولا العقل وهذا التأويل أخذه أهل السنة والجماعة من رواية النسائي: «**إن الله يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا ينادي هل من داع فيستجاب له وهل من مستغفر فيغفر له وهل من سائل فيعطيه**»، هذه الرواية الصحيحة تفسر الرواية الأخرى، لأن نزول الملائكة لما كان بأمر الله تعالى ليبلغوا عنه عبّر الرسول عن ذلك بوحي من الله بعبارة «ينزل ربنا» إلى ءاخره؛ كلتا العبارتين أوحي بهما إليه، ولذلك نظير في القرءان قال الله تعالى في حق ءادم وحواء: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ فإن

المعنى: أن الملك بلّغهما ذلك عن الله، وفي ذلك دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ ردّ اعتراض بعض المجسمة على رواية النسائي الصحيحة لحديث النزول، حيث إن بعض الزائغين قال: إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له، وإنا نرد كلامه بقولنا: كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء مضافًا إليه بقوله عز وجل: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، كذلك يحمل حديث النزول في روايته المشهورة على رواية النسائي، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه «من يستغفرني فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه»، بل المعنى أن الملك ينزل إلى السماء الدنيا بأمر الله ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه، كما أنه ليس معنى الآية أن ءادم وحواء سمعا ذاك من الله لأن ءادم لم يكن نبيًّا في ذلك الوقت وحواء ليست نبية، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾، ليس معناه على ظاهر اللفظ، بل معنى الآية: فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا، ومن هذا الذي يظن أن الله كان يقرأ على الرسول القرءان كما يقرأ المعلم على التلميذ؟! وبهذا التفسير يُحل الإشكال الذي

يورده بعض هؤلاء الزائغين. وقد قال رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» عن حديث النزول المذكور ءانفًا: اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه: الأول: النزول من صفات الجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام منتقل ومنتقَل عنه ومنتقل إليه وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلا ونهارًا من قوم إلى قوم وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم ونزوله فيها إلى سماء الدنيا ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: إن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين؛ انتهى.

وقال الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» ـ الذي فضح فيه سلف ابن تيمية في تشبيه الله بخلقه، وبيّن رحمه الله براءة الإمام أحمد رضي الله عنه من المشبهة ـ

بعد أن ذكر حديث النزول ما نصه: «إنه يستحيل على الله عزّ وجل الحركة والنقلة والتغير، وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعًا». ثم قال الإمام ابن الجوزي: «قال ابن حامد ـ وهو أحد أسلاف ابن تيمية في التجسيم والتشبيه ـ هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل، قلت ـ أي ابن الجوزي ـ وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى، ومنهم - أي المشبهة ـ من قال يتحرك إذا نزل، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق، وقد حكوا عن أحمد ـ أي ابن حنبل ـ ذلك وهو كذب عليه، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته تعالى قديمة أي أزلية لأن الله أزلي لا بداية له وهو موصوف بصفات الكمال اللائقة به سبحانه أزلا وأبدًا لأنه تعالى منزه عن النقائص» اهـ.

وقد قال الإمام الفقيه أبو سليمان الخطابي في شرحه على البخاري عند شرحه حديث النزول: «إن النزول الذي هو تَدَلٍّ من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت هو صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده واستجابته دعائهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية سبحانه

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

وقال في موضع ءاخر: إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا» اهـ.

وقال في شرحه على سنن أبي داود رادًا على من وصف الله بالحركة: «**والله سبحانه لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، والله عز وجل متعال عنهما ليس كمثله شىء، وإنما ذكرت هذا لكي يُتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع، فإنه لا يثمر خيرًا ولا يفيد رشدًا، ونسأل الله العصمة من الضلال والقول بما لا يجوز من الفاسد محال**» اهـ.

وقد ذكر رحمه الله ذلك بعدما ذكر حديث النزول؛ ولا يخفى على من مارس شيئًا من علم الرجال أن أبا سليمان الخطابي من أئمة اللغة والفقه والحديث ووافقه في قوله صاحب لسان العرب حيث يقول في مادة «نزل» عند ذكره حديث النزول ما نصه: «**النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدس؛ والمراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من العباد، وتخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله، وعند ذلك تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله عز وجل وافرة، وذلك مظنة القبول**

والإجابة» اهـ.

وروى البيهقي عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه سئل عن حديث النزول فقال رضي الله عنه: «النزول بلا كيف».

وروى كذلك البيهقي عن المزني: «إن المجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لحديث النزول: «إن من حمله على ظاهره وحقيقته هم المشبهة تعالى الله عن قولهم»، ثم نقل عن البيضاوي أنه قال: «ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه فالمراد نور رحمته»، وأقره الحافظ ولم يتعقبه.

وقال القسطلاني في شرح البخاري[1] عند ذكره لهذا الحديث: «هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله، فهو نزول معنوي»، ثم قال: «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعًا إلى ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه» اهـ.

---

(١) (٢/ ٣٢٣)

ومثله قال أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي عند ذكر حديث النزول[1].

ثم إن الذي يتشبث بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية، وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبث بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ أن ءادم وحواء التي لم تكن نبية قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عز وجل قال:

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ فخص موسى بوصف كليم الله؛ ومن هذا الباب أيضًا قوله تعالى في سورة ءال عمران: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾، فإن الله أضاف الكتابة إلى نفسه لأنه هو الآمر بها، أمر بها الكتبة من الملائكة وليس من صفات الله الكتابة أو القراءة كما سبق وبيناه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾، ثم إن خزنة

(1) (٢/ ٢٣٥)

جهنم من الملائكة هم الذين يقولون للكفار: ﴿ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ وليس المراد أنه تعالى يسمع الكفار كلامه الذاتي الأزلي الذي ليس بحرف ولا صوت، وإنما أضيف هذا القول إلى الله لأنه تعالى هو الذي أمر به كما ذكره المفسرون كالنسفي وغيره ولو أردنا تتبع هذا الباب لكان شيئًا كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾، فهل يفهمون من قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ ﴾ في هذه الآية أن الله أسمع اليهود الذين مسخهم قردة كلامه الذاتي الأزلي كما أسمعه موسى عليه السلام أم أنهم يؤولونها ويخرجونها عن ظاهرها ويقولون إن المراد «جعلناهم قردة خاسئين» وأن هذا مجاز كما في حاشية الشهاب على البيضاوي وغيره من كتب التفسير؛ وقد قال الإمام الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» ما نصه: تكميل، ذكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنير الإسكندري المالكي في كتابه «شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرّر نفيها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ **«لا تفضلوني على يونس بن متى»** فقال مالك: إنما خص يونس بالتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رُفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جلّ جلاله نسبة واحدة؛ ثم بيّن رحمه الله أن الفضل بالمكانة لا بالمكان. ـ والمراد بهذا البحث إثبات تنزيه الله تعالى عن المكان والجهة والحيّز ـ.

فائدة:

قال الإمام أبو نصر القشيري في التذكرة الشرقية: «فإن قيل أليس الله يقول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فيجب الأخذ بظاهره، قلنا: الله يقول أيضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ ويقول تعالى ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾. فينبغي أيضًا أن نأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطًا بالعالم محدقًا به بالذات في حالة واحدة، والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة واحدة بكل مكان. قالوا: قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ يعني بالعلم، «وبكل شيء محيط» إحاطة العلم قلنا: وقوله تعالى ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قهر وحفظ وأبقى، ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ بذلك أيضًا حتى يقال كان مقهورًا قبل خلق العباد، هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيُّر واعوجاج سابق على وقت الاستواء، فإن البارئ تعالى كان موجودًا قبل العرش، ومن أنصف علم أن قول من يقول العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول الرب بالعرش استوى، فالرب إذًا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة ومنزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة. وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استنزالهم للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا الكتاب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون - والعياذ بالله -: «نحن

نأخذ بالظاهر ونحمل الآيات الموهمة تشبيهًا والأخبار الموهمة حدًا وعضوًا على الظاهر ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك» ويتمسكون (على زعمهم) بقول الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: وهؤلاء ـ والذي أرواحنا بيده ـ أضرّ على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغترّ به المستضعفون فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري؛ وأما قول الله عز وجل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، إنما يريد به وقت قيام الساعة فإن المشركين سألوا النبي ﷺ عن الساعة أيان مرساها ومتى وقوعها، فالمتشابه إشارة إلى علم الغيب فليس يعلم عواقب الأمور إلا الله عزّ وجلّ، ولهذا قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾، أي هل ينظرون إلا قيام الساعة، وكيف يسوغ لقائل أن يقول في كتاب الله تعالى ما لا سبيل لمخلوق إلى معرفته ولا يعلم تأويله إلا الله، أليس هذا من أعظم القدح في النبوات وأن النبي ﷺ ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله تعالى ودعا الخلق إلى علم ما لا يعلم، أليس الله يقول: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾، فإذًا على زعمهم يجب أن

يقولوا كذب حيث قال «بلسان عربي مبين» إذ لم يكن معلومًا عندهم إلا فأين هذا البيان؟! وإذا كان بلغة العرب فكيف يدعي أنه مما لا تعلمه العرب لما كان ذلك الشىء عربيًا، فما قول في مقال مآله إلى تكذيب الرب سبحانه؟! ثم كان النبي ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى فلو كان في كلامه وفيما يلقيه إلى أمته شىء لا يعلم تأويله إلا الله تعالى لكان للقوم أن يقولوا بيّن لنا أولا من تدعونا إليه وما الذي تقول فإن الإيمان بما لا يعلم أصله غير متأت، ونسبة النبي ﷺ إلى أنه دعا إلى رب موصوف بصفات لا تعقل أمر عظيم لا يتخيله مسلم، فإن الجهل بالصفات يؤدي إلى الجهل بالموصوف، والغرض أن يستبين من معه مسكة من العقل أن قول من يقول: «استواؤه صفة ذاتية لا يعقل معناها والقدم صفة ذاتية لا يعقل معناه» تمويه ضمنه تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل، وقد وضح الحق لذي عينين وليت شعري هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا الإنكار في كل شىء وفي كل ءاية أم يقنع بترك التأويل في صفات الله تعالى، فإن امتنع عن التأويل أصلا فقد أبطل الشريعة والعلوم إلا ما كان نحو قوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأن ثمّ أشياء لا بد من تأويلها لا خلاف بين العقلاء فيه إلا الملاحدة الذين قصدهم التعطيل للشرائع، والاعتقاد لهذا يؤدي إلى إبطال ما هو عليه من التمسك بالشرع بزعمه، وإن قال يجوز التأويل على الجملة إلا فيما يتعلق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه فهذا مصير منه إلى أن ما يتعلق

بغير الله تعالى يجب أن يعلم وما يتعلق بالله وصفاته يجب التقاصي عنه وهذا لا يرضى به مسلم.

وسر الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يدلسون ويقولون له يد لا كالأيدي وقدم لا كالأقدام واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا فليقل المحقق هذا كلامٌ لا بد من استبيان، قولكم: نجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض، إن أجريت على الظاهر فظاهر السياق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر وإن لم يمكنك الأخذ بها فأين الأخذ بالظاهر؟! ألست قد تركت الظاهر وعلمت تقدس الرب تعالى عما يوهم الظاهر فكيف يكون ءاخذًا بالظاهر وإن قال الخصم هذه الظواهر لا معنى لها أصلا فهو حكم بأنها ملغاة، وما كان في إبلاغها إلينا فائدة وهي هدر وهذا محال، وفي لغة العرب ما شئت من التجوز والتوسع في الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد، فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية ومن أحاط بطرق من العربية هان عليه مدرك الحقائق. وقد قيل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، فكأنه قال والراسخون في العلم أيضًا يعلمونه ويقولون ءامنا به فإن الإيمان بالشىء إنما يتصور بعد العلم أما ما لا يعلم فالإيمان به غير متأت.

وهذا قال ابن عباس: «**أنا من الراسخين في العلم**» انتهى كلام القشيري.

ويؤيده قول رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب**» رواه ابن ماجه.

وقد ظهر مصداق دعوة النبي ﷺ لابن عباس حيث إنه - رضي الله عنهما - أوّل قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾، قال ﴿ بِأَيۡيْدٍ ﴾ أي بقوة، رواه ابن أبي طلحة في صحيفته عن ابن عباس، وكذا أوّل ابن عباس قول الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قال يوم يكشف عن كرب وشدة، رواه الخطابي في شرح صحيح البخاري والحاكم وصححه وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في فتح الباري.

اعلموا رحمكم الله أنه لا مانع لغة ولا شرعًا من تأويل الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء فقد ذكر الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرءان، والسمين الحلبي في عمدة الحفاظ والزبيدي في تاج العروس شرح القاموس حيث نقل عن الراغب قوله: إن لفظ استوى متى عدّيَ بعلى اقتضى الاستيلاء، كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ اهـ. ونقله مقرًا له حيث لم يتعقبه وذكره الجوهري في الصحاح والرازي في مختاره وغيرهم كأبي بكر بن العربي المالكي والغزالي.

والسبكي الحافظ الإمام اللغوي النحوي حيث يقول: «**والمراد**

بالاستواء كمال الملك وهو مراد القائلين بالاستيلاء»، ثم يقول السبكي: «فالمقدم على هذا التأويل لم يرتكب محذورًا ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه»، ثم يقول السبكي: «إن الجلوس والقعود من صفات الأجسام لا يعقل منه في اللغة غير ذلك، والله تعالى منزه عنها، ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئًا لم تشهد له به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيده إنكاره. واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلا وأبدا، والعرش وما تحته حادث، فاتى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء» اهـ. وأقره الزبيدي في شرح الإحياء حيث نقله.

وأما دعوى المجسمة أن تفسير استوى باستولى وقهر يقتضي سبق المغالبة فهو مردود بقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾، فلم توهم هذه الآية سبق المغالبة وحيث لا إيهام هنا فلا إيهام هناك.

وأما اعتراضهم على ذلك بقولهم «إن الله قاهر لكل شيء فلا فائدة من تخصيص العرش بالذكر»، فيرد عليهم بأن الله قاهر للعرش وهو أعظم المخلوقات فهو قاهر لما دون العرش بالأولى وقد قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، فلم يقتض ذلك أن الله ليس ربًا لما سوى العرش بل الله رب العالمين كما في قوله تعالى «الحمد لله رب العالمين». وقد نقل الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرءان أن الإمام أحمد أوّل قول الله «أو

بأتي ربك» (الأنعام ١٥٨) قال وهل هو إلا أمره بدليل قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ (النحل ٣٣).

فماذا ستقول الوهابية في الإمام أحمد الذي أوّل؟!

علماء السلف والخلف ينزهون الله عن النزول بالحركة والانتقال:

١ـ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه[1]:

سئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ عن نزول الرب عزّ وجلّ، فقال (**ينزل أمره ـ تعالى ـ كل سَحَر، فأما هو عزّ وجلّ فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو**) اهـ.

٢ـ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) صاحب السنن في كتابه «الأسماء والصفات» عند ذكر هذا الحديث[2]:

«أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥)، الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني (ص/ ١٣٦)، شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٣٧)، الإنصاف لابن السيد البطليوسي (ص/ ٨٢).

(٢) السنن الكبرى، البيهقي ـ المجلد الثالث، ص٣.

والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما تقوله المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوًا كبيرًا. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» انتهى كلام البيهقي.

٣ ـ وروى البيهقي بإسناده عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه قال[١]: «**سألني ابن طاهر عن حديث النبي ﷺ ـ يعني في النزول ـ فقلت له النزول بلا كيف**».

٤ ـ قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) صاحب السنن: يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن

---

(١) الأسماء والصفات، البيهقي ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ ص٥٦٨.

مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف فقد قال[١]: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وقال ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (وقال) ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ اهـ.

٥ ـ القاضي أبو بكر محمد الباقلاني المالكي الأشعري (ت ٤٠٣هـ) قال ما نصه[٢]:

«ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه، فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام ولا القعود، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك» اهـ.

٦ ـ إمام الحرمين الجويني يقول في الإرشاد، أثناء كلامه عما روي بشأن النزول[٣]: وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فآحاد

(١)) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي ـ عالم الكتب، بيروت ـ ص٧٢.

(٢)) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ـ ص٦٤.

(٣) كتاب الإرشاد ص١٥٠، ١٥١.

لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغًا، لكنا نومئ إلى تأويل ما دوّن منها في الصحاح، فمنها حديث النزول، وهو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة جمعة ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيب له**» الحديث، ولا وجه لحمل النزول على التحول وتفريغ مكان وشغل غيره فإنّ ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام، وتجويز ذلك يؤدي إلى طرفي نقيض، أحدهما الحكم بحدوث الإله، والثاني القدح في الدليل على حدوث الأجسام والوجه حمل النزول وإن كان مضافًا إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين وذلك سائغ غير بعيد ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

معناه: إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله، ولا يبعد حذف المضاف وإقامة المضاف إليه تخصيصًا.

٧ ـ الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي (ت ٦٧١ هـ) قال في تفسيره ما نصه[1]: «**والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز**».

---

(١) الجامع لأحكام القرءان، القرطبي ـ سورة الفجر.

٨ـ رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين بن جماعة (ت ٧٢٧هـ) في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» ما نصه[1]: «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه:

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدَثات ويحتاج إلى ثلاثة: أجسام منتقِل، ومنتقَل عنه ومنتقَل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلا ونهارًا، من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين»

---

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ابن جماعة ـ دار السلام ١٤١٠ ـ ص١٦٤.

انتهى كلام ابن جماعة.

٩ ـ الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» بعد ذكر حديث النزول ما نصه: «**إنه يستحيل على الله عزَّ وجلَّ الحركة والنقلة والتغيُّر. وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن وجسم سافل وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعًا**».

١٠ ـ الإمام البيضاوي قال[1]: «ما ثبت بالقواطع العقلية أنه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد نزول رحمته، ويقال: لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى.

وكذلك بعض كلام نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني.

١١ ـ الإمام أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي قال ما نصه[2]: «ثم إن الذي يتشبث بظاهر ما جاء في حديث النزول

(١) عمدة القاري (٧/ ٢٠٠).

(٢) عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، ابن العربي ـ دار الفكر، بيروت ـ

في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية، وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبث بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ أن ءادم وحواء التي لم تكن نبية قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر، فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ قال:

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ فخص موسى بوصف كليم الله».

١٢ ـ قال النووي في شرحه على صحيح مسلم[1]: «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما وهو مذهب السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق، والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي على أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا

المجلد الثاني، ص٢٣٥.

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ـ المجلد السادس، ص٣٦.

تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما مراجعة فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف» انتهى كلام النووي.

ويبطل ما ذهبت إليه المشبهة من اعتقاد نزول الله بذاته إلى السماء الدنيا أن بعض رواة البخاري ضبطوا كلمة «يُنزل» بضم الياء وكسر الزاي فيكون المعنى نزول الملك بأمر الله الذي صرح به في رواية النسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من أن الله يأمر ملكًا بأن ينزل فينادي، فتبين أن المشبهة ليس لهم حجة في هذا الحديث.

١٣ ـ وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري[1]: «وقال ابن العربي النزول راجع إلى أفعالِه لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن مَلَكه الذي ينزل بأمره ونهيه». ثم قال: «والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزِل ملكا قال الحافظ ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد «أن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع فيستجاب له» الحديث،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ المجلد الثالث ـ كتاب الصلاة: باب الدعاء والصلاة من ءاخر الليل.

وحديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد ينادي مناد هل من داع يستجاب له... الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته» انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

١٤ ـ الإمام العيني في شرح صحيح البخاري قال أثناء كلامه عن حديث النزول[1]: «وقال ابن فورك: ضبط لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بضم الياء من ينزل يعني من الإنزال وذكر أنه ضبط عمن سمع منه من الثقات الضابطين، وكذا قال القرطبي قد قيده بعض الناس بذلك، فيكون معدى إلى مفعول محذوف، أي ينزل الله ملكًا، قال: والدليل على صحة هذا ما رواه النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله عز وجل يمهل حتى يأتي شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع فيستجاب له**»، وصححه عبد الحق، وحمل صاحب المفهم على النزول المعنوي على رواية مالك عنه عند مسلم، فإنه قال فيه: «يتنزل ربنا»، بزيادة تاء بعد ياء المضارعة، فقال: كذا صحت الرواية هنا، وهي ظاهرة في النزول المعنوي وإليها يُرد «ينزل» على أحد التأويلات، ومعنى ذلك أنّ مقتضى عظمة الله وجلاله واستغنائه عن خلقه أن لا يعبأ بحقير ذليل، لكن

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٩٩).

ينزل بمقتضى كرمه ولطفه، لأنّ يقول من يقرض غي عدوم ولا ظلوم، ويكون قوله «إلى السماء الدنيا» عبارة عن الحالة القريبة إلينا والدنيا، والله أعلم.

١٥ ـ وقال القسطلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لهذا الحديث[١] «هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله فهو نزول معنوي» ثم قال «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعًا إلى ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه».

١٦ ـ الحافظ السيوطي قال في أثناء كلامه في شرح حديث النزول في «تنوير الحوالك»[٢]: «فالمراد إذن نزول أمره أو الملك بأمره، وذكر ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه ينزل بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكا».

١٧ ـ الإمام الزرقاني في شرحه على موطإ الإمام مالك نقل ما نقله ابن حجر عن ابن العربي وابن فورك وزاد ما نصه[٣]: «وكذا حكي عن مالك أنه أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل المِلك كذا أي أتباعه بأمره» انتهى كلام الزرقاني.

---

(١) شرح صحيح البخاري، القسطلاني.

(٢) كتاب تنوير الحوالك (١/ ١٦٧).

(٣) شرح الزرقاني على موطإ الإمام مالك، الزرقاني ـ دار الجيل، بيروت ـ (٢/ ٣٤٠).

١٨ - الملا علي القاري الحنفي قال في مرقاة المفاتيح بعد أن نقل كلام النووي بشأنِ معنى حديث النزول وأقوال العلماء فيه وبكلامه، وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين والغزالي، وغيرهم من أئمتنا[1]: «يعلم أنّ المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة، والشخص، والرجل، والقدم، واليد، والوجه، والغضب، والرحمة، والاستواء على العرش، والكون في السماء، وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان، تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وإنما اختلفوا، هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشىء ءاخر، وهو مذهب أكثر أهل السلف، وفيه تأويل إجمالي أو مع تأويله بشىء ءاخر، وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي...

إلى أن قال: بل قال جمع منهم ومن الخلف: أنّ معتقد الجهة كافر كما صرّح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني».

١٩ - الحافظ محمد عبد الرؤوف المناوي قال في كتابه «فيض القدير شرح الجامع الصغير» وفي كتاب «التيسير بشرح الجامع

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٢٩٩).

الصغير» ما نصه: «قيل المراد نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة»، ثم قال في «فيض القدير» ما نصه: «لا نزول حركة وانتقال لاستحالته عليه تقدس فيه نزول معنوي» اهـ.

وختامًا، إليك أخي المؤمن هذه الخلاصة المهمة: لقد اتفق أهل التفسير أنَّ خيرَ ما يُفَسِّرُ النَّصَّ الواردَ النَّصُّ الواردُ؛ فخير ما يفسِّرُ النَّصَّ القرءانيَّ السياقُ، وخير ما يُفَسِّر الحديثَ الواردَ الحديثُ الواردُ، كما قال الحافظ العراقي في ألفيته:

وخـيرُ ما فَـسَّرتَـه بالواردِ   كالدُّخِّ بالدُّخَان لابن صائِدِ

ومن هذه القاعدة الذهبية النفيسة ننطلق لبيان الآتي: الأحاديثُ الثلاثة التي يتمسك المشبهة بظاهرها، ويمنعون تأويلها لإثبات الجهة والحركة لله تعالى للعلماء في شرحها وتأويلها مسلك واضح يتفق مع تلك القاعدة، بل هو تطبيق لها، والتزام بها؛ وهذه الأحاديث الثلاثة هي: حديث الجارية، وحديث «ارحموا من في الأرض»، وحديث النزول.

- ففي حديث الجارية: على افتراض ثبوت رواية «أين الله»، و«قالت: في السماء» يرى العلماء تأويله كما يلي:

١ ـ قول: «أين الله» دلالته: سؤال عن تعظيم الجارية لله تعالى، فلفظة (أين) في اللغة تستعمل لذلك، كقول عمرو بن العاص: «وأين معاوية من علي». ودليل هذا التأويل الرواية الأخرى

للحديث في موطأ مالك: «أتشهدين أن لا إله إلا الله...»، ومعلوم أن شهادة أن لا إله إلا الله دلالتها إثبات تعظيم الله تعالى، لا إثبات الحيز والجهة والمكان له.

٢ ـ وقول: «في السماء» دلالته: أن الله عظيم القدر جدًّا. وهذا معروف في لغة العرب. ودليله قول الجارية وإقرارها: «أشهد أنْ لا إلـٰه إلا الله...».

فرواية مالك تفسر رواية مسلمٍ، على فرض ثبوتها. بذلك اللفظ.

- وفي حديث الرحمة: الذي يفسر رواية: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» روايةُ: «يرحمكم أهل السَّماء» التي رواها الحافظ العراقي، وإسنادها وأهل السماء ـ بالإجماع ـ هم الملائكة، فالله لا يقال له: أهل السماء. لذلك أوَّل العلماء رواية «من في السماء» بالملائكة.

- وفي حديث النزول: الذي يفسر لفظَ «ينزل ربُّنا» الوارد في رواية البخاري المشهورة، وروايات عدد من الأئمة، لفظ «يأمر ملكا» فينزل الملك بأمر الله، وهو الوارد في رواية النّسائي وهي «ثم يأمر مناديًا ينادي» وهذا المأمور المنادي هو غير الله بلا شك وهو الملك، وهي ثابتة صحيحة.

فمعنى (ينزل ربُّنا): ينزل (ملكُ ربِّنا)، وهذا مجاز معروف عند أهل اللغة، والبلاغة، والأصول، والتفسير: بالمجاز العقلي ودليله

الرواية الأخرى.

وبعدُ، فنقول كما قال الحافظ عبد الغني النابلسي: (رجز)

هذا هو الحق المبين الواضحُ   وبالذي فيه الإناء ناضحُ

والحمدُ لله رب العالمين.

الارتواء

من أدلة جواز الاحتفال بالمعراج والإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين المتفضل على أحبابه بالإكثار من دعائه الذين لا يقطعون ءاماهم من رجائه والذين يقومون الليل في مناجاته ويصومون النهار يرجون بركاته البعيدون عن مداهنة أعدائه الذين جحدوا وكذَّبوا بآلائه وأنكروا وكفروا بنعمائه فحلّلوا وحرّموا تبعًا للشيطان وأهوائه وفسّقوا وكفّروا من يتّبع الحق وكان من أوليائه وقالوا بالتشبيه والتجسيم مكذبين للقرءان وءاياته متبعين للحرّاني وزلاته وللنجدي وسقطاته تاركين لنهج الصحابة والدليل الساطع وعلاماته وصلاة الله وسلامه على نبينا المصطفى سيد أنبيائه وعلى ءاله وصحابته الذين قالوا الحق ورفعوا راياته.

أما بعد، فها هم أعداء الدين والإسلام ما برحوا ولا فتِئوا يكذّبون الإسلام ويكفّرون أهله بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان كهذه الفتوى التي وزعوها ونشروها في هذه الأيام في مواقع التواصل الاجتماعي يقولون فيها: «إن الذي يحتفل بالإسراء والمعراج كافر» وبهذا فقد استحلُّوا دماء الأمة الإسلامية وأموالهم وأعراضهم فقط لأجل أنهم يحتفلون بذكرى الإسراء والمعراج، وماذا يحصل في احتفالات الإسراء والمعراج يا هل ترى؟!

أولًا: يبدأ الاحتفال بآيات من القرءان الكريم.

ثانيًا: القصائد النبوية والزهدية الوعظية.

ثالثًا: كلمة طيبة عن معجزات رسول الله وشرح معجزة الإسراء والمعراج.

وكل ذلك من الخير الذي حثّ الله عليه في القرءان، فقال جل جلاله: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، ويقول الله سبحانه وتعالى في القرءان العظيم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2]، فالأمة المحمدية تظهر فرحتها وبهجتها بفضل الله عليها بأن أكرمها ببعثة محمد وبظهور معجزاته ﷺ. فمتى كان الاجتماع والفرح على الاحتفال بذكرى معجزةٍ باهرةٍ ظاهرةٍ كمعجزة الإسراء والمعراج شِركًا على زعم مكفّري الأمة.

ومن أدلة المسلمين على جواز الاحتفال بهذه الليلة المباركة ما جاء في قول رسول الله ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده لا ينقص ذلك من أجورهم شىء**» رواه مسلم في الصحيح.

فإن قال مكفّرو الأمة لو كان هذا الاحتفال جائزًا لفعله

---

(١) سورة الحج/ ءاية ٧٧.

(٢) سورة يونس/ ءاية ٥٨.

الرسول والصحابة، فالجواب عن ذلك أنه ﷺ: **«ما خُيِّرَ بين أمرين إلّا واختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا تخفيفًا على أمته»**، رواه مسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها، فالرسول ﷺ كان يترك الشيء أحيانًا وهو حلالٌ لأنه يخاف أن يُفرض على أُمته، وترك النبي والصحابة للشيء لا يدل على تحريمه لأنه ﷺ قال: **«وما سكت عنه فهو عفوٌ»** رواه أبو داود والحاكم والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومعنى ما سكت عنه أي لم يُنزل تحريمه لا في القرءان ولا في حديث رسول الله ﷺ فكيف لكم ومن أين لكم أن تتجرّؤوا على التحريم والتكفير بلا كتابٍ ولا حديثٍ ولا هدًى، ثم ماذا تقولون في الأشياء التي ترك الرسول والصحابة فعلها عمليًّا ولم يقولوا بألسنتهم لمن بعدهم افعلوا كذا وها أنتم تفعلونها وإليكم بعضها:

- هل نقط الرسول المصاحف أو شكلها أو وضع لها الشدّات أو أمر بذلك؟!

  لا، وأنتم تفعلون!

- طباعة المصاحف، هل فعل ذلك الرسول أو أمر بذلك؟!

  لا هو ولا الصحابة!

- تسجيل المصاحف على شُرط في المسجلات وبعد ذلك في CD أو DVD صوتًا وصورة أو عرض ذلك في الفضائيات أو مواقع الإنترنت؟!

كل ذلك لم يفعله النبيُّ ولا الصحابة الكرام!

- هل قال النبي أو الصحابة اطبعوا الأحاديث طباعةً واجمعوها واقرؤوها على فضائية المسماة السنَّة عندكم؟؟ والقرءان على الفضائية المسماة القرءان الكريم عندكم؟؟

لا، وأنتم تفعلون!

- هل سافر النبي أو الصحابة للحج والعمرة بالطائرة أو السيارة أو القطار للحج والعمرة أو قالوا افعلوا ذلك؟!

لا، وأنتم على زعمكم تفعلون!

- هل كان للمسجد الحرام وللمسجد النبوي أيام الرسول والصحابة قباب ضخمة ومآذن شامخة أو قال النبيُّ أو الصحابة افعلوا؟!

لا، وأنتم تفعلون!

- هل كان للمسجد الحرام والمسجد النبوي أيام الرسول والصحابة مكبرات صوت أو كاميرات مراقبة أو نقل مباشر لصلاة المغرب من المسجد النبوي ونقل مباشر لصلاة العشاء من المسجد الحرام على الفضائيات؟!

لا، وأنتم تفعلون!

- هل كان في المسجد الحرام والمسجد النبوي أيام الرسول والصحابة خزائن للمصاحف وبرادات للمياه ومراوح وثريات؟!

لا، وها أنتم تفعلون!

- هل كان في بيوت الرسول والصحابة الحنفيات التي في بيوتكم اليوم وبزعمكم تتوضؤون منها؟!

لا، وها أنتم على زعمكم تفعلون!

- هل كان في بيوت الرسول والصحابة نظام المياه الساخنة والخزانات والقازانات والدوش الذي يُغتسل منه لصلاة الجمعة وصلاة العيد أو من الجنابة أو لبقية الأسباب والمناسبات؟!

لا، وها أنتم على زعمكم تفعلون!

- وهل قال الرسول أو الصحابة لا تحتفلوا بذكرى مولدي أو بذكرى الإسراء والمعراج أو بالنصف من شعبان أو في ليلة القدر أو في فتح مكة أو غزوة بدر؟؟ هل نهوا عن ذلك؟؟ هل حرَّموا ذلك؟؟ هل كفَّروا من يفعل ذلك؟! لا وألف لا!

وها أنتم تكفرون الأمة وتشوّهون صورة الإسلام وسمعة المسلمين وتنفّرون الكفار من الإسلام باسم الدين وباسم الإسلام وقد قال الله سبحانه وتعالى في القرءان الكريم:

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾[1].

---

(١) سورة النحل/ آية ١١٦.

وممن أباح الاحتفال بليلة النصف من شعبان المحدث الفقيه الشيخ عبد الله بن صدّيق الغماري الحسني في ءاخر كتابه «حسن التفهم والدرك لمسألة الترك».

وقد قال الأستاذ الشيخ عطية صقر عضو مجمع البحوث في الأزهر وعضو لجنة الإفتاء:

الاحتفال بالمناسبات (أي الدينية) أمر طيب ومشروع

الاحتفال بالذكريات بوجه عام ليس هناك دليل يمنعه، وإنما الممنوع أن تستحدث فيه عبادة ليس لها أصل في الدين، أو أن يكون أسلوب الاحتفال محرّمًا أو ينتج محرّمًا. فيكون الاحتفال ممنوعًا لا لذاته بل لما يعرض له، وقد صحّ في مسلم أن النبي ﷺ كان يحتفل كل أسبوع بذكرى مولده وذكرى بعثته وذلك بأسلوب فيه إظهار لعبودية الله والحاجة إليه والإحساس بنعمته وهو الصيام.

وقد جاء الأمر في القرءان لسيدنا موسى عليه السلام بتذكير الناس بأيام الله الذي أهلك فيها من كذّبوا أنبياءهم: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[1].

ولا شك أن التذكير بالأحداث الماضية واستخلاص العبر

---

(1) سورة إبراهيم/ ءاية ٥.

منها بعد مشاهدة ءاثارها مأمور به في القرءان الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[1]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾[2].

وقال عن قوم لوط: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾[3]، والشخصيات العظيمة التي تركت ءاثارًا طيبة في أي ميدان من ميادين الخير كالأنبياء والعلماء والقادة لا مانع أبدًا أن نبحث عن الجوانب العظيمة في تاريخهم وذلك من أجل التأسي والاعتبار حيث لم يرد دليل مقبول ينهى عن ذلك بل إن أدلّة كثيرة تدل بعمومها على جوازه بل تشجّع عليه، فقد قصّ الله علينا في القرءان الكريم أخبار الرسل وغيرهم وقال في حكمة ذلك: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[4] كل ذلك مشروطٌ بأن يكون الأسلوب مشروعًا وأن لا تترتب عليه ءاثار يستنكرها الدين وإلا كان ممنوعًا، من قال: «فليس كل جديد

---

(١) سورة الروم/ ءاية ٤٢.

(٢) سورة الفجر/ ءايات ٦ - ١٤.

(٣) سورة الصَّافات/ ءاية ١٣٧ - ١٣٨.

(٤) سورة يوسف/ ءاية ١١١.

ضلالة» وقد صح أن عمر قال في جمع المسلمين على أبيّ بن كعب: «نعمت البدعة هذه» رواه البخاري، وصح أيضًا أن النبي ﷺ قال: «من سن في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء»، رواه مسلم في الصحيح.

وقال عميد كلية أصول الدين في الأزهر الدكتور موسى لاشين:

الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج أمرٌ مستحسن

قال الدكتور موسى: «ويرى البعض أن الاحتفال بذكرى المناسبات الدينية كمولد النبي والهجرة والإسراء والمعراج أمر مستحسن، لأنه يُحيي في نفوس المسلمين شوقًا وحنينًا وعبرًا إسلامية لم تكن لتحيا لولا هذه الاحتفالات.

وقال الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصري الأسبق:

إن الاحتفال بالمناسبات الدينية دروس وما أحوجنا الآن إلى الدروس.

قال الدكتور الوزير: «وقد تسمعون من بعض الناس أن الاحتفاء والعناية بذكرى من الذكريات بدعة لا يصح أن تكون ويحاربون هذه ويظنون أن ذلك من الدين وأن من يحتفل بها

يكون غير ملتزم بالدين، وأحب أن تقولوا لهؤلاء فماذا في هذه الاحتفالات من السوء! وهؤلاء يحمّلون الدين ما لا يحتمل ليحكموا باسمه عليها بأنها بدعة سيئة ويرفضوها ويثيروا جدالًا بينهم وبين غيرهم!! هل يكره الإسلام والمسلمون الفاهمون أن نتحدث للناس عن غزوة بدر وعن شجاعة المسلمين وتضحياتهم فيها ليقتدوا بهم، هل يكره الإسلام والمسلمون الفاهمون لدينهم أن نتحدث عن فتح مكة ونصر الله لرسوله ولصحابته على المشركين؟؟! هل يكره الإسلام أن نستعرض حياة عظمائنا في كل نواحي الحياة بمناسبة مولدهم أو وفاتهم أو الحدث الذي فعلوه ونتحدث عن نواحي عظمتهم ليقتدي الشباب والمسلمون عامةً بهم؟ لقد أحيا رسول الله ذكرى نجاة أخيه موسى من الغرق وهذا بلا شك يُعتبر احتفالًا من الرسول بهذه المناسبة الطيبة وبالطريقة التي رءاها الرسول، فمبدأ الاحتفال بالمناسبات الطيبة وإحياء ذكراها مبدأ مقرر ومبدأ مفيد وفرصة نبحث فيها عن الذكريات لنعلم الناس حسن الاقتداء بالطيبين الذين سبقونا بإحسانٍ وأدوا للإسلام كبرى الخدمات فهي دروس وما أحوجنا الآن للدروس التي تُقال في مناسباتها، فلكل مجال مقال ولكل حدث حديث. اهـ

الأجوبة الثلاثة للدكتور موسى والدكتور عبد المنعم والشيخ عطية صقر باختصار من كتاب أصول الوصول لفضيلة الشيخ الأستاذ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية.

الفهرس العام